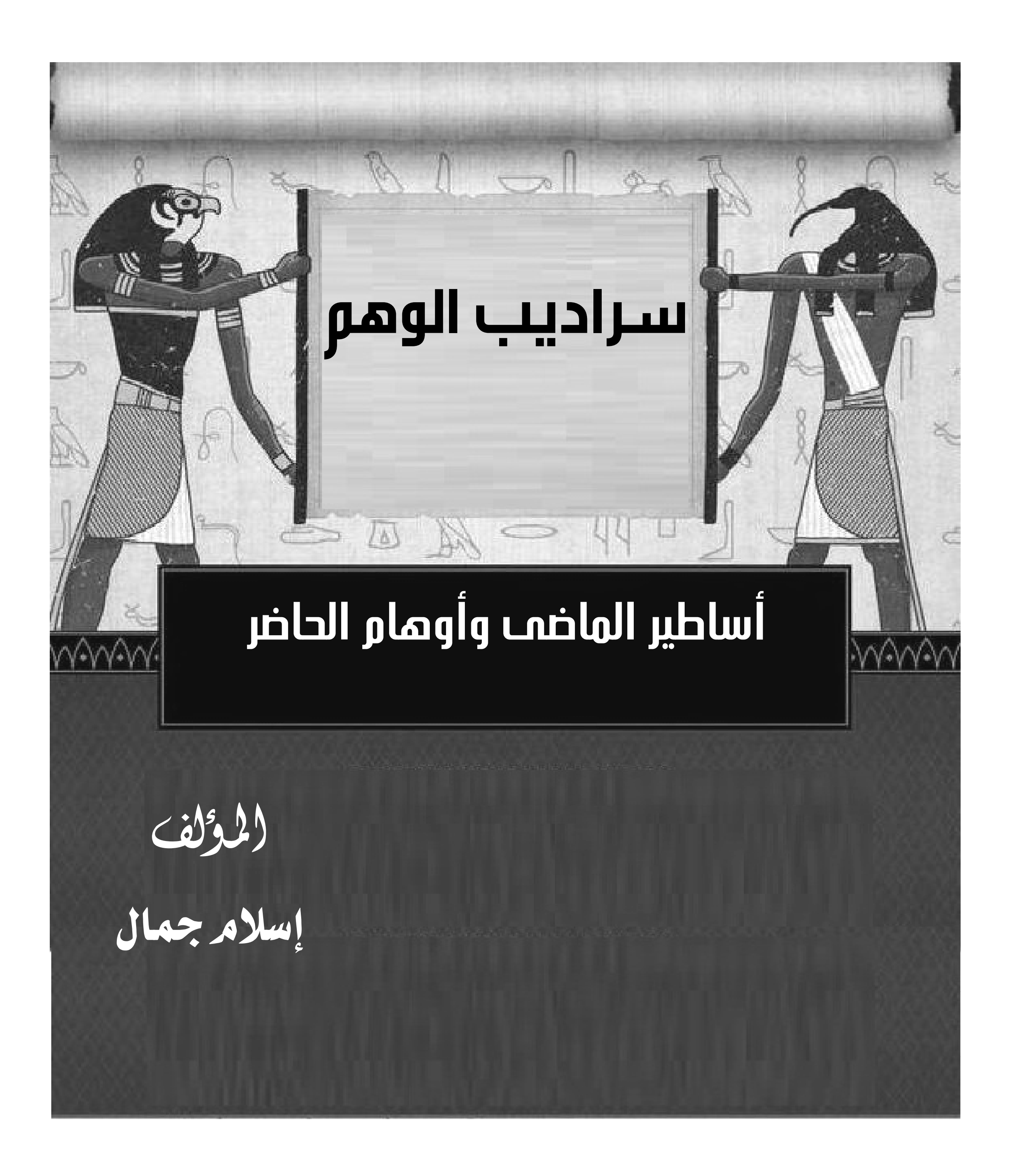


سراديب الوهم
أساطير الماضى وأوهام الحاضر
المؤلف
إسلام جمال

سراديب الوهم

اسم المؤلف: إسلام جمال

المدير العام: نهى محمود .

مدير التوزيع: مصطفى الحلو .

تجهيز فني: همت العزب.

تصميم الغلاف: دعاء السيد .

العلاقات العامة: نوسة شوقي.



التصحيح اللغوي: أولي النهى للتصحيح اللغوي- ميادة عادل/نهى محمود .

الطبعة الأولى: ٢٠١٧

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية: ٢٠١٧/٩٦٧٣.

الترقيم الدولي: ٦-٢-٠٢-٦٦١٠-٩٧٧-٩٧٨

١٧ش حسن وهبة من شارع الهرم الرئيسي

خلف كايرو مول الهرم

موبايل/ ٠١٠١٤٦٢٤٢٨٨

البريد الإلكتروني:

Nohamahmoud.171186@gmail.com

elshahdpublishing2016@gmail.com

إهداء شخصى

إلى والدي، ووالدتي رحمها الله، و إخوتي، وعائلتي.

وإلى عائلتي الكبيرة الطيب منهم عملًا، وقولًا، والخبيث.

وإلى نفسي الهائمة المترددة في كل اختيار، نفسي الشقية المغوية، والتي تُشقيني معها، أين السبيل إلى ترويضك؟!

وأخيرًا إلى تلك الغائبة التي لا أعرفها، ولم تأتِ بعد..!

ارحلي، فأنا لم أعد بانتظارك..



إهداء أدبي

-إهداء لمن دفعني إلى الصعود لقمة الجبل،

ثم تخلى عني ليُعلمني درسًا في كيفية السقوط وحيدًا،

وإن السقوط هو بداية الرحلة الطويلة...





مقدمة

ارتفع البدر عاليًا ليتوسط كبد السماء في تلك الليلة الدهماء منفصل الشتاء ليُرسل أشعته على استحياء فوق تلك المنطقة من صعيد مصر، ظهر البدر جليًا تُحيط به قطع السُحب الرمادية، وفي وسط الظلام الذي لا يُنيره سوى أشعة البدر المتقطعة الآتية من حين لآخر من خلال المساحات الخالية بين مجموعات السحب المتزاحمة، رددت السماء والطرقات صوت صقر ما أتى من اللامكان، فلعنت في سري انقطاع الكهرباء المتكرر في ذلك الوقت من كل يوم أثناء عودتى من العمل إلى بيتي القابع في منتصف قريتي التقليدية شأنها شأن مثيلاتها من القرى، وكما يليق بقرية صعيدية في جنوب البلاد أن تكون على ما هي عليه من العزلة، والانفصال عن مجريات الأمور التي تُجرى في شمال البلاد، والعاصمة المزدحمة التي لا تنام.

صقيع الشتاء على الطريق الزراعي المقفر الخالي، وحقول الذرة والقيضي التي حصدها أصحابها، وتركوا خلفهم أكوام مُجمعة من سيقان النبات، أو كما نسميها في بلادنا البوص كان الجميع قد حصد زرعته أوقعوها، و تركُوها لتجف لتعلن بهذا انتهاء فصل الصيف، و حلول فصل الخريف كان الطريق المؤدي إلى قريتي على جانبيه الحقول التي تم حصادها، بالإضافة إلى انقطاع الكهرباء صنع مزيجًا مرعبًا كان وقعه منفرًا على صدرى على عكس ما اعتدت بـ كل ليلة، لكن تلك الليلة كانت تُنبئني بشعور مُنفر غريب من التوجس والترقب، كانت الليلة غريبة، ومختلفة عن باقي الليالي الرتيبة فهناك أرى شيئًا في الأفق!.

ظننت وقتها أن عينايّ تخدعني، أم أن عمود الإنارة هذا بالفعل يسطع بالإضاءة ويُنير تلك البقعة في أسفله كما بدا لي؟ إنه العمود الوحيد المُنير في وسط جميع العمدان الأخرى، و القرية بأكملها تسبح في ظلام دامس يُخيم على مساكنها، وطرقاتها أمام حقل لم يتم حصاده بعد، أهي زرعة متأخرة صارعت أيام الخريف، وبقيت حتى بداية فصل الشتاء؟! كان المنظر مُريب جدًاحقل وحيد وسط الحقول التي تم حصادها لم أره من قبل وعمود إنارة وحيد مُضيء بخلاف باقي العمدان الغارقة في الظلام.

صعدت علامات الاستفهام إلى رأسي، وأنا أحاول أن أستوعب وجود هؤلاء الذين يجلسون حول عمود الإضاءة أمام الحقل تحت الضوء يتسامرون، ويصبون أكواب الشاي في هذا الجو وسط ضحكات هيستيرية كضحكات ضباع رقطاء، ظننت في البداية أنهم مجموعة من السكارى استغلوا خواء الطرقات للعربدة كما يحلو لهم، مالبثت أن أقنعت عقلي وقلت لنفسي لابد أنهم أصحاب الحَقل، وهم يهتمون بـ زرعتهم المتأخرة، ومن ثم اقتربت متوجسًا خيفة منهم لـ أستطلِع أمرهم أكثر.

دنوت منهم في وجل، مُمنيًا نفسي بما يمكن أن أحصل عليه من منفعة تُعينني على استكمال مشواري؛ أو لعلي أنال كرم ضيافتهم؛ أو أظفر بكوب من الشاى أدفئ به جوفي الخاوي، لعل ذلك يُشعرني بالدفء حتى أقطع ما بقيَّ من طريقي، أو ألتمس بعضًا من الدفء في جلستهم، وسمرهم لذلك اقتربت أكثر مُلقيًا عليهم التحية.



- "**السلام عليكم ورحمة الله** "

لم يرد أحد منهم السلام ..

كانوا سبعة أشخاص خمستهم يبدون في هيئة الرجال، والسادس والسابع ذوي هيئة مُريبة، ومُقبضة أحدهم يبدو مختلفًا عن ذويه، يجلس منفردًا وكأنه منبوذ، وعلى مقربة منهم وقف حمار خُيل إليّ أن أرجله تستطيل وتقصر كل دقيقة، ولكن طردت أوهامى بعيدًا، فتلك الليلة القاسية وذلك العمود الذي بدا لي كمنارة وسط ظلمات بحر ومرسى بالإضافة لبرودة الجو لا تحتمل التصديق بأن حمارًا يُغير من هيئته باستمرار، حتمًا عقلي ونفسي يتوقان إلى بعض الراحة، ويرفضان أن أضيع هذه الفرصة الذهبية من أجل أوهام.

أشار إليَّ أحدهم بالجلوس وهو يمد يده بكوب ساخن من الشاي تناولته بلا أية مجاملات، أو حتى شكر بلا داعي، فقد اعتبرته حقي المُكتسب كغريب ضال في مسالك الليل وزمهريره، فكان هو هدفي ومُبتغاي منذ أن اقتربت منهم، ومع أولى الرشفات تسرب شعور الدفء الغامر الذي ملأ صدري، شعرت بالعرفان لهذه الجلسة المُرتجلة التي لم أشاهدها في هذا المكان من قبل.

لكني لم أكد أنتهي من كوب الشاي حتى حدثتني نفسي القديمة الملولة الحذرة بالتوجس، ومشاعر الندم، والتسرع كعهدي معها دائماً..

بادرني الأقرب منهم ذو الهيئة الغريبة التي أوحت لي برأس الحمار يزيد عليها لمحة آدمية، وجسد رجل بالغ قائلًا:

"**عندما تَتبع سراديب عقلك بحثًا عن الأوهام فتَضل، وحين تَضل في**

غياهب وتلافيف عقلك ستشقى، وحين تشقى ستجد حولك أساطير الماضي والحاضر فتسقط، وعندما تسقط في سراديب الوهم ستكون قد وصلت إلى هاوية المُنسحقين، فأهلًا بك عزيزي في جحيم "ست"".

فغرت فاهي من التعجب من هذا الكلام العجيب الذي يشبه مقطوعة شعرية مترجمة،لأجد ذلك الشخص الغريب الذي يشبه الغربيين في ملامحهم وشعره الأشقر ويرتدي الزيّ العسكري المصري يستدرك على قول صاحبه، فنظرت إليه لأجد ما يشبه خيط الدم يُحيط بعنقه، وكأنه يسيل من جرحٍ نازف ما زال طازجًا، تعجبت أكثر في نفسي، ورجَّحت أنه مجرد خيال آخر في تلك الليلة التي بدأت أتشائم منها، ونفسي تُحدثني وتصرخ قائلة:

- لقد أخبرتك فلم تستمع إليَّ.

قال الجندي غريب الأطوار ساخرًا:

"**سيبك منه يا زميل، أصله لسه طالع من بردية قديمة وعايش الدور حبة، اشرب شوية الشاي دول، وإنت هتنظبط، الجو متلج، ولازم تدفي جسمك**".

لم أُعلق و أنا مازلت مشدوهًا في استغراب يكاد يُطيح بعقلي ما ظننتهم رجال عاديون اتضح أنهم ليسوا برجال ونفسي تتراقص بجانبي وهي تقول: "لقد أخبرتك لقد اخبرتك لا تجلس وأكمل طريقك فلم تستمع إليّ".

- تكلم ذلك الشخص الجالس بجانبه وهو يحدث نفسه:

"**حرمت نفسي من العيشة وغيري اللي اتمتع بالكنز و الدفينة** "

ليكتمل المشهد ويزداد غرابة و يضرب نفسه بالحذاء مرارًا وتكرارًا.

وكان الشخص الرابع شاب يمسك بهاتفه المحمول، ويقوم بمراسلة آخرين من خلال الماسنجر، و السيجارة لا تفارق فمه ولا يتحدث وكأنه شارد الذهن وليس معنا على الاطلاق.

وبجانبه رجل ذو عمامة تشبه الصوفيين ومعه مسابح وحول عنقه الكثير من الأحجبة ويقلب بيده أمبول خشبي ذو نقوش هيروغليفية، ولما تلاقت عيني بعينه ابتسم وقال:

"مش هيكلفك كتير ده أمبول الزئبق الأحمر هيخلي خدام الجن تحت أمرك هاه قلت إيه شاري وألا يفتح الله؟ "

فغرت فاهي في غرابة، وأنا لا أدري ماذا أجيبه؟! والليلة تزداد جنونًا، ونفسي تحدثني أني أهلوس، أو على ما يبدو أني قد فقدت وعيي في الطريق.

وهناك الرجل الغريب الذي يرتدي زي أشبه بزي المصريين القدماء من مادة الكتان يلف بها خاصرته وصدره ويترك باقى جذعه و سيقانُه عارية، فتعجبت ودار في ذهني سؤال كيف يحتمل ذلك الشتاء وبرودته بتلك الملابس الشفافة؟!

وكان الرجل الأخير رجل يلبس جلباب صعيدي والطين حول قدميه جالس لا يتحرك شارد الذهن، وأمام فمه كوب من الشاي لا هو يشربه؛ أو يضعه أرضًا أشبه بتمثال حي لا يتحدث ؛ أو يتحرك؛ أو يتكلم.

ثم أتى من على يسارهم في ذلك الوقت قط أبيض كالثلج يشاكس قطاً آخر أسود كالليل البهيم أدهم ذو منظر مخيف، ومُرعب يُثير الاشمئزاز ليُصدر القط

الأبيض مواء كبكاء الطفل الرضيع.

لم يمض من الوقت دقيقة واحدة حتى أتى راكضًا من بعيد شاب نحيل يحتضن لفافة، وما إن جلس واتخذ مقعده مع الجالسين حتى قال:

ده أخر كيلو سكر.

فرد عليه الشاب الأول قائلاً:

حمدلله على السلامة يا ماسخ تعالى جنب النار دفي نفسك.

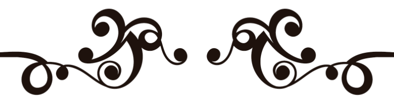
نهضت وأنا أشكر الرجال على كوب الشاى أريد الرحيل، وقد فعل الخوف بي ما فعل، وأطاح بعقلي، وقلبي سقط في قدمي، ونفسي تكيد لي وتشمت، وهي ترقص بجانبي فرحًا على ما وضعت نفسي به.

لم أُنهي كلماتي حتى تغيرت وجوه الجالسين بألوان متعددة كإنذار عربات النجدة و الإسعاف، و تغيرت أشكالهم الطبيعية إلى هيئات حيوانية وضبابية وكدت أن أسقط مُغشى عليَّ، وقبل أن أفقد وعيي هذه المرة حقًا، اشتدت أحداث الليله غرابة وجنونًا حيث ظهرت تلك الفتاة الجميلة، وهي تخرج من بين عيدان حقل الذرة التي حان موعد حصادها، لترسم صورة للمشهد عبارة عن وردة رائعة الجمال وسط مكب النفايات، وحظيرة الحيوانات السابقة التي كُنت بها.

وبيدها ناي وتعزف عليه في نغمات ساحرة موسيقى قديمة مصرية لأنظر إليها مسحورًا لأنسى من أنا، وأين كنت ذاهب، وما الذي أتى بي إلى هنا؟!

أجلس معهم مسلوب العقل بتلك النغمات العذبة وهي تقول:

- لن تغادر قبل أن تسمع من كلٍ منا حكايته.



-اجلس وإلا لن ترى نور الصباح مرة أخرى.

لأقول لها مشدوهًا بحلاوة صوتها وعذوبته، من أنتِ؟!

فتجيب:

-"أنا عزة" جميلة بنات أون صاحبة النبوءة، من ستُحيي جيش حورس و الوعي الكيميتي."

ثم سمعنا صوت زئير أسد ليخرج من خلفنا كائن يتحول بين الأنثى وبين "اللبؤة "ليستقر شكلها أخيرًا على هيئة ممتزجة بين نصفها العلوي الذي يشبه أنثى الأسد وبين نصفها السفلي الذي يُشبه أنثى بشرية تُزمجر مرة أخرى وتقول في غضب:

أ تتَسامرون قبل أن تأتي سيدة البدايات؟!

- "أنا سماح -"سخمت" سيدة الدماء المعاقبة، الفتاةالقوية، سيدة الأوبئة، والطب، والسحر الأول أنا سماح عظيمة السحر."

وقبل أن أُجن أوأفقد عقلي جلست معهم وجعلتهم يصطفون من حولي قائلاً:

"صلو على النبى كده وكل واحد يحكيلي قصته إيه؟ وبلاش شغل العفاريت ده أنا قاعد معاكم علشان حتة القشطة القمر دي "عزة" وردة البنفسج وسط الزريبة".

زمجر "ست" غاضبًا أنا من سأبدأ القص عليكم غضبت "سماح" وكشرت عن أنيابها في حين تعارك القطان، ونهق الحمار في غضب وهو يرفس بقدميه غضبت "عزة " قائلة:

"أنا الأجمل لذا سأبدأ".

وقام الرجل الذي يشبه المومياء بالرقص بطريقةجنونية وهو يُقسِم ويستدِّعي بعض أعوانه لمساعدته في الفوز ببداية الحكاية بينما كان ذلك الجندي يُخرج سلاحه ويُطلق طلقات في الهواء لتهدئة الجميع ليجلسوا جميعًا بعد ثورة، وانتفاضة غضب سريعة، فيما ظل الشاب الذي يشرب شاي، والذي يُمسك هاتفه المحمول على حالهم لم يتحركوا قيد أنمُلة، أو يخوضوا فيما خاضَ الجالسين حولهم.

-قلت لهم في غضب:

"عيب كده عيب عليكم كلكم في حاجة اسمها قرعة وللأخ اللى طالع من بردية ده معرفش اسمها إيه عندكم بس حاجه كده تشبه الأزلام عند كفار قريش لو تسمع عنهم يعني "

نظر إليَّ ذلك الكائن غاضبًا، و كاد أن يقتُلني بنظرات عينيه الدامية لولا أن تدخلت"عزة" قائلة:

"طيب هنعمل قرعة زى الأجانب نلف إزازة فاضية واللي تقف عليه يحكي حكايته"

رد عليها ولأول مرة ذلك الجالس كالتمثال:

"أجانب مين وهباب مين احنا نلف صنية الشاي وكل واحد ياخد كوباية واللي ميحصلش كوباية يحكى حكايته"

قالت سماح نصف الأنثى ونصف اللبؤة:

"بل القول قول سيدة الدماء والذبح لدى تماثيل "شوبابتي" المُجيبين تُمثل

أبي رع وإخوتي "حتحور"، و"باستت"، و"ماعت"، وحتى الجيل الرابع في العائلة الإلهية، العائلة الأولى التي سكنت أرض "كيمت" ومن سيحصل على" شوباتي رع " هو من سيبدأ" .

قالت هذا، وأخرجت تماثيل بحجم الكف تمثل النترو بداية من "رع"، وحتى الجيل الرابع فى شجرة النترو " أوزير، وست، و إيزة، و نبت حيت (نفتيس)".

كل منهم قدم اقتراحه ولكن كان هناك ما يشوبه من نقص ودقة حتى تكلم "ست" أخيرًا قائلًا وهو يخرج بعض الجعارين بحجم العملة الحديثة من جعبته:

" تلك هي جعارين نُقشت عليها الرموز المقدسة، وتعاويذ القلب وأحدهم نُقش عليه الرمز الأول، والمقدس رمز الحياة "العنخ" من يحصل عليه هو مَنْ يبدأ حكايته، ومَنْ يقوم بالقرعة هو ذلك البشري الضيف، ومَنْ لديه قول آخر فليقل؛ أو ليصمت إلى الأبد"

صمت الجميع، ولم يتحدث أحدهم ثم نظر إليَّ ذلك الكائن بنظرة وابتسامة خبيثة جمدت الدماء في عروقي، وهو يُناولني تلك الجعارين أحسست برعشة جمدت عمودي الفقري لولا نظرة خاطفة من عزة جعلت كل مخاوفي تتبخر في حديقة عيونها الوردية.

ثم قمت برج الجعارين داخل يدي المضمومة، وتركتها ليتلقَف كلٌ منهم واحد، وينظر إليه وعلامة الخيبة تظهر على وجوههم واحد تلو الآخر.

رجيف الردمة

حتى إذا نظر ذلك القط الأسود إلى قطعته فتبسم، وهو يموء مواء مفزع متحولًا إلى بشري ويقول بصوت اجش كأنه قادم من بئرٍ سحيق:





رجيف الردمة [١]

إنه الصعيد، وما أدراك ما صعيد مصر..!

في بقعة ما من هذا القُطر الواسع الرحب، والذي ما تزال الكثير من أراضيه بكرًا لم تنل منها نوائب الزمان رُغم تعاقبها عليها، إنها "سوهاج" تلك المحافظة المصرية التي تقع في إقليم جنوب الصعيد وفي قرية سوهاجية تقع في غرب النيل في أحضان الجبل الغربي تسمى "المَدمر" اشتهرت بصناعة الطوب المحروق واشتقت اسمها من صناعتها واحْتلَّتْ موقعًا مركزيًا من الطريق الواصل بين مراكِز سوهاج "طما" و "طهْطا" و "جهينة "حيث تكثُر عمليات التنقيب في الجبل الغربى عن الآثار.

جلس "وليد" البالغ من العمر ثمانية عشر عامًا مع الشيخ أبو غانم في منزلهم الواقع بسفح الجبل بانتظار والده "خالد" الذي غاب منذ الصباح بقرية تُدعى "كوم اشقاو" ليُحضر بعض أنواع البخور المطلوبة، ولكنه لم يحضِر حتى وقت متأخر.

وخلال انتظارهما ظل الفتى والشيخ يتجاذبان أطراف الحديث طوال اليوم بينما تناوب على خدمتهم شقيقته "ياسمين" ذات الستة عشر ربيعًا، ووالدته فكانتا كل ساعة ما بين إحضار المشروبات، أو المأكولات الخفيفة حتى انقضى اليوم وجل النهار.

وقبل أن يحل الرمق الأخير من النهار بهبوط الشفق الأحمر الذي صبغ وجه السماء بمزيج من اللون الأحمر القاتم والأرجواني مُعلنًا حلول الغروب، وقبل أن

---

(١) "قصة مبنية على أحداث حقيقية".

تطول جلستهم أكثر، تعالت أصوات طرقات الباب لتُعلن عودة الأب مُحملًا بأكياس الفاكهة، والمشويات الجاهزة، وكيس البخور الذي طلبه الشيخ.

ابتدره الشيخ أبو غانم:

- ريحتك سبقاك يا أبو وليد والخير على قدوم الواردين اتأخرت ليه ده كله؟! ده "كوم اشقاو" جنبنا هنا.

أجابه أبو وليد :

- "ملقيتش الطلبات يا شيخنا واضطريت أروح المركز في "طما" وملقتهاش برضه فرُحت المحافظة، وقلت مَجيش غير بأكلة تسد معانا علشان الحفر طول الليل".

أسرع الإبن في تلك اللحظة بحمل الأكياس عن أبيه وذهب بها لمساعدة والدته، وأخته في تحضير العشاء للوالد المُنهك من مشواره، وللضيف الذي تجاوزت إقامته في منزلهم شهرٍ كامل، ودار في خُلده في تلك اللحظات مدى مصداقية كلمة "شيخ" التي يُطلقونها على هذا الرجل الأقرب للدجل منه إلى الرشاد، فهو لم يره خلال إقامته يسجد سجدة، أو يؤدي فرضًا واحدًا، فقط يلقبه الناس بهذا اللقب لـ معرفته بالعلوم السُفلية، وتحضير الجان لفتح الكنوز، والدفائن التي يرجون أن تظهر قريبًا كوُعوده التي لا تنتهي.

شعر في نفسه بالأسف تجاه والده وما يُفنيه من مال وجهد في البحث عن الكنز رغم أن حالته ميسورة وسط أهالي القرية ولديه أملاك زراعية إلا أن حلم الكنز لا ينفك يراوده، فأضاع الكثير، وباع نصف ما يمتلك من حيازة زراعية، ومازال يتبع كل دجال، ونصاب أملًا في الوصول إلى مأربه.

جلس الثلاثة يتناولون وجبة العشاء حتى أصابتهم تُخمة ليخرجوا، ويجلسوا أمام الباب في المنطقة الفسيحة المحيطة به، أحضر الإبن أكواب الشاي والجوزة للشيخ الذي لا يكف عن الفرقعة في كل فرصة تواتيه، كما أحضر لأبيه علبة سجائره، وأحضر لنفسه بعض المياه الغازية، وجلس بجانب أبيه يحتسيها في صمت.

كان "خالد" رجل في عقده الخامس من عمره لم يكف عن تدخين السجائر كأنه قطار لايتوقف، فكان يغتصب السيجارة اغتصابًا في نفسين، أو ثلاثة، يُشعل السيجارة في الأنفاس الأخيرة لأختها، في حين جلس بجواره الشيخ "أبو غانم" وهو يسحب أنفاس الجوزة التي أخذت تقرقر، ويتصاعد منها الدخان، وانهمك الإثنان في حديثهما عن الكنز والدفينة.

قال خالد:

- "مقربِتش يا شيخ الدفينة تبان ولا إيه؟ أديلنا سنة بنحفر ووصلنا للسراديب ومفيش حاجة ظهرت، وكل شهر بندفع فلوس البخوراللي بتجيبه معاك لو حسبت الحسبة هتلاقيني دفعت فى السنة دى ميقلش عن تلاتين ألف جنيه بخور بس يا شيخ عشان الرصدة ترضى علينا وتظهر الدفينة".

- "متقلقش يا أبو وليد هانت اللي فات كوم واللي جاي كوم تاني خالص وأنا بنفسي قلتلك من شهر إني مش هسيبك غير واحنا بنطلع الكنز من الأرض، وإنت عارف كل ما نوصل الرصدة تسحبه، ولولا البخور مكناش عرفنا له طريق تانى".

كان "خالد" كلما تململ وأراد أن يحتج يقوم أبو غانم بإقناعه بحججه و تفاسيره التي لا يستطيع معها ردًا، وكان "وليد" أكثر المعارضين لأبيه الشيخ،

ولكنه لم يكن يستطيع أن يخرج عن طاعة أبيه فرَضى بالأمر الواقع، واضّطر لأن يصمت.

مر أمامهم ثلاث ذكور من القطط انخرط اثنان منهم - بلون أبيض مُختلط بخضار - في شجار عنيف وظلا يُموءان بصوت مفزع، وكأنهما طفلان يتعاركان، في حين ظل الثالث - بلونه الأسود البهيم وبعين وحيدة التى ربما فقد نظيرتها في معركة مماثلة - جالسًا على قائمتيه الخلفيتين بمنأى عنهما يشاهد في صمت وقد كان أكثرهم فزعًا، وظل على حاله حتى انتهى العراك، ونظر بعينه الوحيدة التي أضاءت في الظلام بلون أخضر مُخيف ناحية "وليد" وظهرت على ثغره شبح ابتسامة جعلت وليد ينظر إلى أبيه في صمت ينُم عن عدم اهتمام فأوجس خالد في نفسه خيفةً وكاد قلبه أن يقفز من موضعه ليدرك ذلك أبوغانم فقال مستدركًا:

- "متقلقْش ده واحد من مراسيل الرصدَة وخايف يكون وصلنا للدفينة".

وما كاد أبو غانم ينتهي من كلماته حتى تنامى إلى الجميع صوت رجيف في "الردمة" التي بجانب البيت، مما جعل الثلاثة ينتفضون في فزعٍ فالصوت كان مزلزلًا بحق، ولولا وقوع البيت في ناحية بعيدة نسبيًا عن باقي بيوت القرية لهرع أهل القرية جميعهم لـ يستفهمون عن ذلك الصوت الهادر بمجرد أن يصك مسامعهم.

كان صوت الرجيف أشبه بصوت الرعد مع صوت تقاذُف حجارة وسقوطها فوق أخرى، وكأنها انهالت من أناس اجتمعوا في حشد غاضب راجمين موضعٍ بالحجارة من بقايا "الردمة".

تلك "الرَدمة" التي كانت عبارة عن مكان مُتسع في طرف القرية محاط بسور

بارتفاع متر وبداخله مبنى دائري مرصوص من الحجارة وقوالب الطوب اللبن التي تم وضع القار والشحوم عليها وتم حرقها لمدة ساعات حتى نضجت اللبنات، لتتحول إلى قوالب متينة من "الطوب المحروق الأحمر"، لتستخدم بعد ذلك فى بناء المنازل بالقرية لكن دائمًا ما يتخلف بالرَدمة بعض القوالب التي لم تُستخدم بعد.

ها هم الآن يسمعون صوت تقاذُفها وتكسُرها يصاحبها صوت كـ هزيم الرعد ولكن دون أن يتحرك قالبٌ واحدٌ من مكانه، كان أبو غانم يرتجف من داخله، فلم يكن باستطاعته التعامل الفعلي مع الجن الحقيقي إلا أنه استغل ذلك الحدث و بـ بديهة حاضرة لتحقيق مبتغاه، و يلعب على أوتار نفس خالد قائلًا:

- الليلة هي ليلة الفرحة، الرَصدة هربوا من المكان، ورجموه من الخوف، الخدام سيطروا عليهم وطردوهم، إنت لازم تمشِّي كل اللي فى البيت وميبقاش غيرنا للحفر.

اعترض "وليد" وصمم على البقاء مع أبيه وبعد نقاش طويل وافق أبو غانم وخالد على بقائه، ولكن بعد أن يذهب يُرسل أسرته إلى البيت الثاني الذي يقع بجانب الترعة المتفرعة من نهر النيل في وسط أرضهم الزراعية بالناحية الشرقية، وسرعان ما ذهب لتوصيل شقيقته، وأمه إلى المنزل الثاني في حين واصل أبيه، والشيخ الحفر أسفل المنزل الغربى.

لكن "وليد" كانت تنتظره مفاجأة أثناء عودته إلى المنزل، فلقد شاهد مالم يخطر بباله قط، كان هناك حمارًا لكنه لم يكن حمارًا عاديًا، لقد كان لعُنقه طولًا

مبالغًا فيه، ومظهره يُوحي بشيء غير طبيعي بالمرة، ثم لم يلبث وأن تحولت هيئته فجأة إلى هيئة مختلفة تمامًا..

هذا الذي كان حمارًا منذ لحظات أصبح الآن بطة!

منذ متى يتحول الحمير إلى بط؟ ظن وليد للحظات أنه يهذي لكنه بدأ يُدرك حقيقة الأمر، فضحك وهو يقول لنفسه:

- "هو إنت منهم؟ يكون في معلومك أنا مش بخاف من حاجه واصل و هزارِي تقيل ولو إنت عفريت جدع؟! خليك مكانك ومتتحركش".

وتقدم "وليد" بضع خطوات ليرى البطة، وقد أصبحت حمارًا مرة أخرى، ولكن هذه المرة بعنقٍ قصير، وأذنان طويلتان، وأخذ يركض بين الزرع، ويكسر أعواد وسنابل القمح بحوافره، فطال التلف منطقة كبيرة من الأرض المزروعة، لكن الفتى لم يُمهله، وركض خلفه حتى اقتَرب منه وأمسك بأذنيه، وقبل أن يتحول أخرج "مطواة"، ووضعها على عنقه، وقال له بلهجة من يتحدث إلى من يفهم كلام البشر:

- "إنت متشكل دلوقتي في هيئة حمار جرب تغير وأنا هكون دابحَك قبل ما تفكر"

ثم نزل به إلى شاطئ "الترعة "، وهو يُكمل حديثه العجيب بلهجته الصعيدية المميزة:

- "ياابن الكلب بوظت الزرع اللي شَقيت فيه إنت عفريت وسخ ابن دزمة أنا هرميك فِي المية وأخلي النار بتاعتك تنطفي، وتموت يا وسخ يا ابن الوَسيخ يا دزمه إنت، جاي تلعب و تهزر معايا؟؟؟ أنا هوريك هزار الصعايدة بجد".

ثم جر "وليد" في منظر عجيب ذلك الحمار الذي أعتقد أنه جني مُتجسد وقد أحكم إمساكه، وتهديده، فلم يستطع الفكاك منه في صورته المُتجسدة، حتى إن الناظر إلى المشهد لن يرى أكثر من مشهد تقليدي لحمارٍ في قبضة صعيدي، حتى إن الزرع قد عاد لسيرته الأولى قبل التلف، وكأن شيئًا لم يحدث، وظل الفتى حاكم القبض على الحمار حتى خرج به على الطريق وهو يقول:

- "أيوه كده اتعدل يا دزمه ومش عتقك دلوقتي إلا لما توصلني للبيت الغربي أدينا لاقينا ركوبه ببلاش بدل المشوار".

وبالفعل أخذ "وليد" الحمار إلى البيت الغربى، ثم أطلقه بمجرد وصوله إلى البيت ليتحول الحمار إلى ذلك القط الأسود ذو العين الواحدة، و يصرخ كطفل باكي أصابه ألم من جرّاء وخز حقنة طبية؛ أو من أثر لسعة نحلة.

دقائق من مواء كـ العويل بدت وكأنها تُمثل ندم القط على ذلك المزاح الثقيل، فلم يمكث بعدها طويلًا حتى اختفى من المكان، مما دفع الفتى للضحك على هذا الموقف العجيب قبل أن يدخل إلى أبيه، والشيخ لـ يستكملوا الحفر حتى الصباح.

❀❀❀

في صباح اليوم التالي، لم يجد "أبو غانم" مخرج من الورطة التي وقع فيها، وتأُخر خروج الكنز حتى هذه اللحظة إلا أن يخبر خالد بحيلة أخرى فهمس له قائلًا:

- "انا عاوز أقولك على حاجة بس تركز وتفهمنى يا أبو وليد، اللي هقولهولك حاجة صعبة، بس ضرورية جدًا، الرصْدة اتلموا على الدفينة تاني وهيخفُوها، والخُدام بتوعي واقفين قُدامهم بس مش قادرين وزعيمهم طالب دم

بنت بنوت علشان يقدر يخرَّج الكنز... إنت فاهمني؟؟؟ يعني عايزين دم بكارة دم نجس من تعويرة بنت بنوت".

صُدم "خالد" ودُهش من هذا الطلب، لكنه لم يستطع أن يعترض، ولا أن ينبس ببنت شفة، فجلس بالخارج، وبجانبه الشيخ الذي أيقن أنه سوف ينجو بفعلته، و المبلغ الذي جمعه من مال الرجل الطامع بأثمان البخور التي بلغت آلاف الجنيهات مقابل بضاعة لا تساوي شيئًا.

كان خالد يجلس إلى جواره بأعصاب محترقة ودمه يغلي في عروقه فأجهز على علبة الدخان التي لفظت أنفاسها سريعًا فأرسل ابنه ليأتي له بالمزيد، وبعد صمت طويل قال أبو غانم:

- "هجيبلك البنت ولكن بشرفي لو مظهرش الكنز لكون مِتاويك مكانك".

أتى "وليد" في تلك اللحظة فيخبره والده بأن يذهب ويأتي بـ شقيقته، ووالدته كي تجهز الغداء وبعد حيرة، وتردد قال خالد في نفسه:

- "لو سبته هيضيع شقى عمري فشوش، لكن شرف البنت هيتصلح طالما محدش شاف، ولا عارف، وهو عارف فين، و ليه البِت اتعورت؟! و هيكون موجود".

حضر "وليد" وبعد الغداء أخبره والده بأن يخرج، وينتظر بالخارج، ويراقب المكان تحسبًا لمجيء أحدهم، وبعد تردد لم يطل أطاع "وليد" أباه رغم الشك الذي يعتصر قلبه، وعقله، وخوفه من أن يُقدم أبيه على فعل غير مسؤول، لكنه خرج يقوم بالحراسة المطلوبة.

ثم دخل خالد و أحضر ابنته في لحظة طمع حضرها الشيطان الذي قد أعماه ليرميها بداخل الحفرة، وهي غير واعية لما يحدث من حولها مع صوت أبيها بأن تصمت، ولا تخاف تزامنًا مع أبو غانم الذي انخرط في وصلة رقص، واهتزاز رتيب، وترديد بعض الكلمات، والتعاويذ غير المفهومة ليقنع خالد أن الجن قد حضر وحلَّ به، وتلبَّس بجسده، ووسط صراخ البنت الذي كتمه "خالد "بيديه هتك الشيخ عرضها ليذبحها أمام عين والدها.

بكت الفتاة البريئة من هول ما حدث لها، ومن جراء الصدمة التي أصابتْها بشلل لم تستطع معه الحراك، وهي في حضن أبيها الذي قيدها لذلك الذئب الماثل أمامها، قبل أن يخبره الدجال أن الجان لم يرتو بعد ويريد المزيد.

كاد خالد أن يفتك بالشيخ و صرخ، وهاج، وماج ولكنه اتباعًا لـ مبدأ المثل الشعبي القائل "خلينا ورا الكداب لحد باب الدار"، أحضر الأم وأخرج سلاحه صارخًا فيها:

- "لو مكتمْتيش خشمك انا هضربك بالنار إنتِ وهي محدش هيعرف وده هيبقى سر بينا والكنز بكرة هـ يغنينا ونعوض كل خسارة واللي اتكسر يتصلح والجرح بُكره يطيب".

حاول الرجل الذي قد فقد عقله إجبارها على طاعته تحت تهديد السلاح، ولكن لرفضها اضطر أن يضربها على مؤخرة رأسها لتفقد الوعي.

وفعل الدجال فعلته مرة أخرى، وهو لا يجد حلًا للخروج من هذا المأزق إلا أن يدّعي للمرة الثالثة أن الجن لم يرض بعد، فأسقط في يدي خالد ولم يدر ماذا يفعل؟! وفي لحظة يأس قال أبو غانم أنه لم يعد بوسعه – بعد كل تلك الجرائم التي

ارتكبها – استخراج الدفينة وأنه سوف يرد كل ما قد حصل عليه ليقوم "خالد" وبلا كلمة أخرى، وقد هوى في بئر الجنون كمن يسقط من حافة جرف هارٍ.

في اللحظة التالية كان "خالد" قد اعتصر زناد "الفرد الفلاحى" لتخرج طلقة الخرطوش وتهتك جمجمة الدجال في مشهد أصاب ابنته المتهالكة، وأمها التي أفاقت برعب هائل لـ يفقدوا البقية الباقية من أعصابهم المحترقة.

وفي ثورة جنونه استل الرجل السكين، وذبح ابنته بعد أن افترسها الدجال الهالك على مرأى من زوجته التي انهارت بجانبها وهي تولول، وتصرخ من الصدمة والذهول حيث ترى ابنتها التي قتلها والدها تذهب فريسة جهله، طمعه، وكفره.

في هذه الأثناء دلف الإبن الغافل على إثر صراخ والدته ليرى ذلك المشهد المريع حيث الدجال برأسه المهشمة بطلقة خرطوش، وشقيقته المذبوحة وبجوارها والدته مطروحة أرضًا في حالة صدمة، وصراخ، وجزع ليس له حدود، ووالده الذي جُن وهو يكلم نفسه ويدور حول الحفرة كثور الساقية مرددًا:

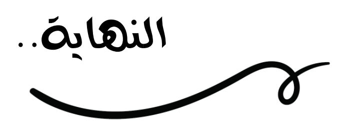
– "مفيش كنز... وشرف البنت ضاع... والشيخ طلع نصاب زي اللي سبقوه... ولاد الكلب كلهم نصابين وحرامية... يا مُرك يا خالد... يا مُرك يا خالد.... ضيعت أرضك وعرضك!"

لم تمر نصف ساعة إلا وحضرت الشرطة لتُلقي القبض على الوالد وتذهب به إلى المركز، ونقلت الجثث إلى المشرحة، و تم اصطحاب الزوجة، والإبن إلى النيابة لأخذ أقوالهم.

في اليوم التالي نشرت الصحف تفاصيل أبشع جريمة لـ والد يقتل ابنته البريئة في سرداب تحت منزله إثر عملية نصب غريبة الملابسات جعلت من الأب قاتلًا بنته، والدجال بعد أن قدمها قربانًا للجان المزعوم بغرض استخراج الكنوز، و الآثار المدفونة.

لقد باع الرجل روحه للشيطان فحضر الأخير تلك الحضرة الملعونة، وعربد بكل قوته، وأغوى الدجال، والرجل المُنقاد له على أسوأ ما يكون، لقد ارتكبت اليوم أبشع الجرائم الإنسانية من أجل المال، لعب الشيطان على وتر الطمع والجشع فنال مأربه، وأضاع آخرة الطامعين بدنيا لم ينالوها، ويا لها من صفقة خاسرة في الدارين، لقد سقط الرجلين في رجيف الردمة، وكأنهما حجرين قد انحدروا بقوة من على شفا جرفٍ هارٍ إلى نار جهنم، ولم يعد لهما أملًا في الخروج منها مرة أخرى.

النهاية..



سرداب الوهم

بعد أن انتهى القط المتحول الأسود من قص قصته عاد إلى هيئته الأولى ثم دارت بيننا أكواب الشاي"

والجميع مُتأثر من قصته، ونهايتها ثم قمت بضرب قرعة الجعارين مرة أخرى، والجميع يلتقطه، وينظر إليها حتى ابتسم الذى كان يضرب نفسه بالحذاء وقال:

"دورى انا لقد حصلت على مفتاح الحياة أما قصتي فهي"





سِرداب الوهم

ها قد مر عشرُ أعوام، وما زلت مستغرقًا في بحثي المستميت خلف حُلمى الذي صاحبني منذ أن كنت شابًا على أعتاب العشرينات من عمري، لقد أبهرتني كنوز الأجداد، أود أن أعرفكم بنفسي..

اسمي "سعيد"، شاب قد جاوز عُمري الثلاثين بقليل... أسمر البشرة قوي البنية ذو لحية مُهملة، وشعر غير مهذب كما يراني من حولي من الناس، ولكن مالي ومال الناس فليقولوا ما يشاءون.!مرت عليَّ عدة سنوات في البحث عن الآثار، ذهبت خلف كل وسيط أو مدعٍ، ومع كل مَنْ له علاقة بآثار القدماء.تركت عملي وأهملت تجارتي بحثًا عن الثراء السريع، ولكنني كنت كلما أنفقت كلماخسرت، وتعطشت للإنفاق من جديد.

لقد صرت أشبه بـ لاعبي القمار الذين كلما أنفقوا خسروا وحين يلوح مكسب ضئيل أمام أعينهم يُسارعون بالإنفاق من جديد حتى تنالهم الخسارة أيضًا من جديد، وبعد أن أضعت وظيفتي الحكومية بسبب كثرة تغيُبي وسفري المستمرين، أهملت تجارتي وأنفقت ما أملك على الدجالين ومُهربي الآثار، عرفت ذلك الرجل الخبير والذي أحضر أحد المغاربة المشهورين بـ السحر، واستخراج الدفائن منذ عامين حين أقنعوني أن "الدفينة" في داري، وبداية المقبرة، والكنز تحت المنزل الذي يقع فى إحدى قرى مركز بمحافظة قنا.

قضيت آخر سنة في منزلي، توحدت فيها مع ذاتي وأحلامي فلم أعد أزور، أو أقابل أحدًا من أقاربي، عائلتي، أو حتى أصدقائي، مرت الشهور الأولى، وقد

صرت غريبًا ووحيدًا مات هاتفي إكلينيكيًا، فلم يعد ينبض بالرنات، أو إعلان وصول الرسائل القصيرة لم يتذكرني أحد سوى شركة المحمول، وهي تراسلني كصديقة مزعجة تخبرني بأحدث العروض والخدمات فـ لقد صِرت منسيا.!

حفرت في بيتي المكون من طابق واحد عدة حفائر بأعماق متفاوتة فلم أجد سوى التراب، كنت دائم التبرير لنفسي ب "مغالطة "الاستخسار الشهيرة"(١)، وكنت كلما عاتبني عقلي بالرجوع، وترك ما أنا فيه أجابتهُ نفسي الأمارة بالسوء بقولها:

- "أنا خلاص وصلت لكده وهنا لازم أكمل، خلاص فاضل حاجه بسيطه وألاقي الكنز".

أبيّت أن أترك مجهودي الفاشل، واستمريت به كي لا أبدأ من جديد، ليتني بدأت من جديد، وتركت كل شيء خلفي، ولكني أصررت على المغالطة.

قمت ببيع مقتنيات البيت وأساسه واستنفذت آخر ما أملك من نقود

---

(١) مغالطة الاستخسار ""Sunk Cost تعرف لدى متخصصى الاقتصاد والمحاسبين وهى الاستمرار في التعاطي مع أمر "غير مفيد" أو غير صحيح لأجل الثمن المدفوع فيه فقط، أو لأجل كلفة رفعه وتصحيحه. يُطلق على تلك الحالة في الاقتصاد والأعمال، التكلفة الغارقة Sunk Cost اما عن المغالطة المنطقية في التكلفة الغارقة فهى حينما يكتشف الفرد بأن الاستثمار فاشل ولكن يستمر فيه بالرغم عن ذلك لعدم خسارة التكاليف التى دُفعت بالفعل ولايمكن استعادتها على الرغم من أنه لاعلاقة بين التكاليف وبين نجاح الاستثمار مستقبلًا، فعلى سبيل المثال، قد تشتري كتاب أو رواية ثم بعد شراء الكتاب/ الرواية تكتشف أنه/أنها مجرد حشو فارغ وهراء لايستحق أن تُكمله ولكنك تُصر على تكملته ليس إلا لأنك قد دفعت قيمته. أو استكمال دراستك في كلية غير ملائمة لك لأن مجموعك مناسب، وكمثال آخر دخول مطعم وطلب طعام اكتشفت لاحقًا أثناء تناوله أنه غير شهي ولكنك تضطر لاستكمال تناوله لأنك قد سددت ثمنه، مثال آخر: بدأت مشروع بتكلفة وخسرت والمشروع في فشل مستمر ولكنك تُكمله إلى نهايته لأنك بالفعل قد خسرت ودفعت ما تملك والأمثلة كثيرة ومتعددة.

وابتعت جوالين من البطاطس والبصل..حرمت نفسي من متعٍ حلالٍ كثيرة، ومنعت عنها كل أنواع الطعام واللذات، ونمت مفترشًا يدي، ونعلي أسفل رأسي فوق حصير بالٍ فوق التراب، كنت في كل يوم، ولمدة أربعة أشهر أتناول في غذائي ثمرة بطاطس مع بيضة إما مسلوقتين، أو مقليتين، أو مطبوختين، هو بعينه نفس الطعام في كل مرة، ولكن بطريقه طهو متجددة، ومتنوعة حتى أنني ابتكرت طرقًا جديدة، وأنا أتذكر المثل العامِّي القائل" كل شيخ وله طريقة".

أما في الليل فقد كنت أتعشى على ثمرة بصل مع كسرة خبز لا أكثر، وكل ذلك فعلته لكي أوفر كل شي للحفر وتكاليفه، انتهيت من الحفر تحت بيتي وأصبحت أقوم بحفر الأنفاق أسفل البيوت والأماكن المجاورة، لدرجة أنني كدت أن أقوم بعمل شبكة أنفاق أسفل القرية بأكملها كـ أنفاق، وسراديب مدينة باريس التي اختبأ بها الثوار في أيام الاحتلال النازي حيث كانت تستخدمها المقاومة خلال الحرب العالمية الثانية، سرح خيالي في تلك الأنفاق الغريبة التي بُنيت عليها مدينة باريس وما قرأته عنها مسبقًا.

أدمنت القراءة في كل ما هو أثري وقديم، وشرعت أتأمل كيف تكونت تلك الأنفاق في البداية، فلم تكن سراديب باريس دائمًا وسيلة للنجاة، فقد عُرفت قبلها بسراديب الموت حيث كانت فيما مضى محاجر قديمة بُنيت منها وعليها باريس مدينة الفن، والنور منذ عصر الرومان، ثم تحولت لاحقًا إلى مقابر، ومتاهات مميتة، اليوم كان هو اليوم المنشود لتحقيق حُلمي بعد أن أنفقت كل ما أملك وصرت في عُزلة عن العالم للدرجة التي لم أعد أُفرِّق فيها بين الحقيقة والوهم،

لكني أعتقد الآن بما لا يدع أي مجال للشك أنني أخيرًا قد وصلت إلى بوابة مقبرة ملكية قديمة.

كدت أن أسقط لحظتها من فرط شعوري بالفرحة، دق قلبي كطبول الحرب بعد وصولي أخيرًا إلى تلك اللحظة المنشودة، هطلت الأمطار بالخارج على غير عادتها فنحن الآن في شهر مايو، والجو قائظ وملتهب وشديد الحرارة كما هو الحال دائمًا في صعيد مصر في فصل الصيف، ولكن هذا ما حدث متزامنًا مع بداية ظهور الباب، فتوجست خيفة، ولكني استبشرت بعدها بها، وبالخير القادم.

قمت بفتح باب المقبرة وأنا غارق في ذهولي، و فرحتي العارمة، فـ أمامي الآن مقبرة ملكية على غرار مقبرة الملك الذهبي "توت" ومحتوياتها لم تُمس بعد، وها هي التماثيل والقطع الذهبية، و الصناديق المزخرفة قد توزعت في كل ركن من أركان المقبرة.

-**رقصت من الفرحة**....

وبدأت في نقل كل محتويات المقبرة عبر السرداب إلى منزلي واستغرقْت في ذلك العمل الليل بأكمله،كل ما وجدته قد وضعته في منزلي، ثم انتهى بي الحال أن نمت من فرط الإرهاق بجوار كنزي وما أخرجته من "الدفينة"، واستغرقت يومين لاحقين أخطط، وأحلم كيف سأعيش معيشة الملوك، سأبني بيتًا، لا بل فيلا ؛ أو قصر، و سأمتلك أسطولًا من السيارات، لكن مهلًا.. لا.. لن أستطيع فعل هذا بسرعة، سوف أكون معتدلًا في إنفَاقي للمال كي لا يُكتشف سري..

وعلى هذا رتبت حياتي ووضعت خطة طويلة لمدة عشرات الأعوام القادمة

لكني نسيت أن أغيّر حياتي اليوم، فأخذت بصلة كعادتي اليومية في العشاء وكسرة الخبز المعتادة، وشرعت في تناولهما، لكن حين أكلت نصفها صرخت متأوهًا من شدة الألم..

-**ما هذا الذي يحدث**؟؟!

شعرت بألم بالغ وكأن عملاقًا يعتصر صدري بقبضته ونغزات كالإبر تخترقني من كل موضع...

-يا للألم!

شددت بيديَّ على موضع قلبي وصدري لكن بلا جدوى، لحظات، وأنا أتألم وأشهق بصعوبة بالغة استطعت خلالها أن أسترد أنفاسي، واغرورقت عيناي بالدموع، وأنا أتذكر المثل الشعبي الذي يتحدث عن الذي " صام وأفطر على بصلة"..

كدت أن أخلع نعلي، وأضرب نفسي به ندمًا على ما فعلته بنفسي ولكني لفظت أنفاسي الأخيرة ثم مُت!

نعم.. هذه هي الحقيقة..!!

أنا الآن رجل ميت، وأعيش كشبح أحوم بأرجاء المنزل، و بالمقبرة الملكية، وكلما مررت بجثماني المسجى على الأرض فعلت ما كنت أود أن أفعله في لحظات احتضارِي ندمًا على قتلي لنفسي بالبطيء، فأمسك النعل، وأضرب به جسدي الهامد بلا حراك، بالطبع فلقد فقدت إحساسي بالزمن أثناء هذه الحياة الطيفية، ولكن بعد عدة أيام على ماأعتقد أتى محصل الكهرباء ليكتشف الجثة، ويُبلغ عنها،

وأصبح موتي و الكنز المُكتشف يمثل قضية شهيرة، وانتشرت قصتي في الجرائد، وانتقلت محتويات المقبرة إلى المُتحف المصري بالقاهرة بعد فُقدان نصفها أثناء انتقالها من شخص لآخر، وأنتم تعرفون كيف تجري تلك الأمور؟

مرت ما أعتقده أنها أسابيع متتالية، وأنا أشاهد، وأتحسر على جهدي المُضني، و فشلي الذريع ليتمتع غيري بما نقبت عنه وكنّزته، فكل من تعامل مع القضية ناله جانب من الحظ، فقط أنا من أُدعى "سعيد" كنت الوحيد الذي صار تعيس الحظ.

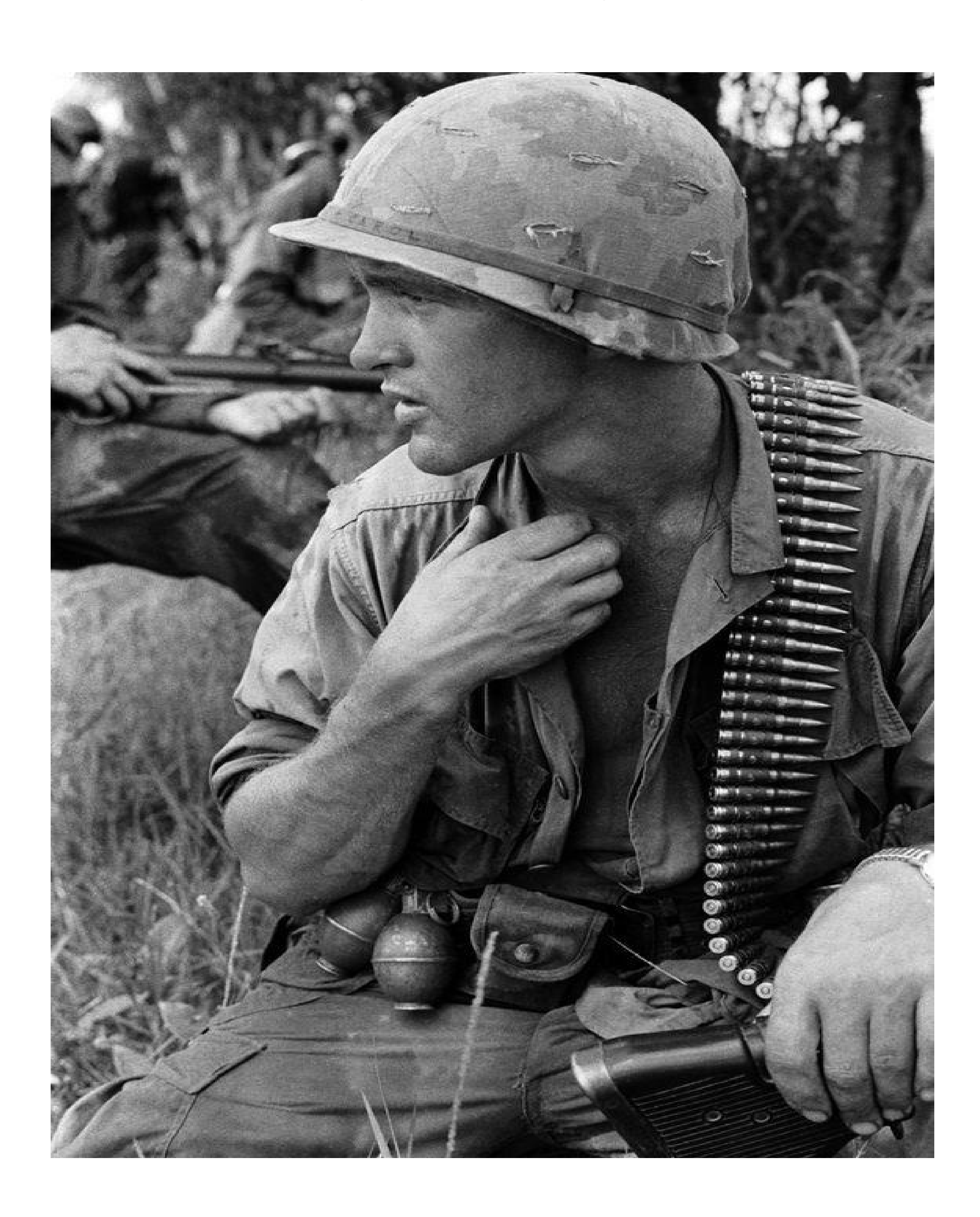
النهاية..

أشباح تل سلام

انتهى الرجل من قصته المقبضة، والجالسون بين شامت، حزين، ومبتسم من قصته، ومرة أخرى ضربالقرعة

التي كانت تلك المرة من نصيب ذلك الشخص النازف الذيرتديالزي العسكري المصري، وهو يطلب كوب شاي ويتحسس عنقه، وبدأ يسرد حكايته قائلاً:





أشباح تل سلام

"تل سلام" هي منطقة عسكرية تحوي العديد من الأماكن التاريخية تقع بالقرب منها ثغرة "الدفرسوار" التي عُرفت بـ معركة المزرعة الصينية، ومنطقة المزرعة الصينية يرجع تاريخها إلي عام ٦٧، حيث تم استصلاح هذه الأرض لزراعتها، وتم إنشاء بعض المنازل بها، وشُقت الترع وقُسمت الأحواض لزراعتها، وكان يُطلق عليها أيضا "قرية الجلاء".

استمرت معركة الثغرة مدة ٣ أيام، فقامت في ١٥ أكتوبر إلى ١٨ أكتوبر١٩٧٣ حيث شاركت قوة كتيبة مصرية بقيادة الرائد (حينها) "محمد طنطاوي سليمان"ضد القوات الإسرائيلية، وفي الناحية الأخرى كان "أرئيل شارون"، و "إبراهام أدان" يضعان خطة لاختراق خطوط القوات المصرية، وسميت العملية باسم عملية "أبرَاي ليف" استغلت الخطة اكتشاف طائرة الاستطلاع الأمريكية SR-٧١، وجود فجوة كبيرة بين خطوط الجيش الثاني، والثالث على الضفة الشرقية للقناة قرب "الدفرسوار".

نتيجة خطأ في التخطيط، حيث كانت الوحدة المصرية التي تدافع عن ذلك الجزء، تلقت أوامر بالاتجاه شمالًا، بدون تكليف أي وحدة أخرى بأخذ مكانها، كان كل من قائدي الجيشين الثاني، والثالث يطيعون أوامر القيادة المركزية دون أن يكلفا نفسيهما عناء التحقق من سلامة خطوطهم الخلفية، على افتراض أن الفجوة قد تم شغلها من قبل الطرف الآخر، قُدرت حجم القوات المصرية بين ٤٠٠ إلى

١٠٠٠ دبابة و و٥٠٠٠ جندي مشاة ميكانيكي في مواجهة ٨٠٠ دبابة إسرائيلية محصنة مع دعم قوات المشاة الخاصة..

في ليلة ١٥-١٦ أكتوبر، كانت قوات شارون لديها أكثر من ٣٠٠ قتيل وخسائر ٧٠ من أصل ٢٥٠ دبابة، كما فقد المصريون نحو ١٥٠ دبابة، بالقرب من الثغرة كانت تقع إحدى النقاط الحصينة في خط بارليف، وهي شرق القناة مثل نقطة تبة الشجرة بالقرب من البحيرات المرة التي شهدت بطولات كبيرة، كانت في منطقة متوسطة في مفترق الطرق شاهدًا على معارك المليز، معارك الثغرة، و معركة "ممر متلا والجدي"، و"الطاسة"،وكانت شاهدة على معركة الملحمية، وحصار" كبريت ١,١,٤ " انتهت المعركة بالحصار ثم وقف اطلاق النار، ومعاهدة كامب ديفيد.



في ٢٠١٥

كان محمد ويوسف صديقان جمع بينهم التجنيد، والتحقوا بوحدة مشاة في الجيش كان كلًا منهم يُطلق عليه جندي خفيف الحركة.. "مهمته التنقل بواسطة مختلف الأسلحة في أي مكان، و كمين، أو نقطة حراسة في سيناء " أرض الفيروز"، كان "يوسف" تخصصه سلاح بندقية القنص "قناصة" أساسي، وبندقية آلية كسلاح فرعي في حين حمل "محمد "سلاح الرشاش المتعدد الروسي " رشاش بي كي PK" ذو الكثافة النارية، وحمل الطبنجة ٩ ملي كسلاح فرعي بجانب إجادته لاستخدام البندقية الآلية، وكان سلاح الرشاش المتعدد دائمًا ما يُثبت أعلى برج، أو تلة لتغطية وتأمين كل أفراد وحدته، أو الكمين.

انتقلوا عصر اليوم الذي يوافق منتصف شهر أكتوبر من عام ٢٠١٥ تحديدًا يوم ٢٠١٥/١٠/١٥ كان الشتاء حل بقوة في سيناء انتقل يوسف ومحمد إلى وحدةمنطقة "تل سلام"، وبعد أن استلم كلٌ منهم أوراقه، ومضوا على العهدة الخاصة بهم، ذهبوا للنوم مباشرة بعد رحلة انتقال شاقة، استيقظ "محمد " ليستلم خدمته الشنجي "أخر خدمه" من الفجر حتى الساعة السادسة صباحاُ..محمد "وهو شاب جامعي نحيل شخص طيب بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

ارتدى "محمد " الزي الخاص به زي الجيش المصري الحديث ثم ارتدى "الظنط"، وهو جاكيت ثقيل بمفهوم الجيش ثم صعد إلى أعلى غرفة المدخل الذي يشبه النصب التذكاري أشبه

بـ هرم صغير أقام سلاحه على الحامل، وتمم على أجهزة الرؤية الليلية ثم سمع صوت شخص يتحرك، فردد "محمد "بصوت عالي:

- اثبت محلك، محلك اثبت.

أجابه من يتحرك بعد أن انبطح أرضًا مجيبًا للتثبيت:

- "أنا عسكري معاك هنا في الكمين، وقلت أجي أقعد معاك في الخدمة بدل ما تقعد لوحدك".

- استقر، استقر كلمة سر الليل إيه؟!

- عربية ١٥.

- طيب أُقف، وتعالى.

بعد أن تأكد "محمد "منه ثم صعد إليه، والمكان يلفه الظلام إلا من ضوء

شارد من عمود إنارة متهالك بالقرب من المدخل، ولكن سرعان ما ابتلعته، وشتت أشعته الصحراء المحيطة به، فجعلت مركز إضائته دائرة صغيرة حوله، صعد الجندى بجانب محمد على برج المدخل، ومن خلفهم التبّة "الدشمة" التي تطل على مجرى القناة، سلم محمد على العسكري الذي كان شكله غريب أشبه بالأجانب ذو أنف أفطس، ووجه مربع، وشعر طويل على عكس معظم العساكر التي كانت تُحلق رؤوسهم باستمرار حيث لا يتعدى طول شعر أي عسكري عُقلة الأصبع؛ أما هذا فلا، بجانب أنه كان ممتلئ الجسم إلى حد ما.

عاجله محمد بسؤال:

- "صحيح اسمك إيه وبعدين شعرك طويل إزاى؟! مش بتتكدر عليه شكلها واسطة يا عم".

رد عليه الجندي:

- أبدًا يا محمد انا اصلي رديف شهر ١٢ وقربت أخرُج فمحَدش بـ يكلمني و اسمي "عمر"، "الرديف هو من تبقى له شهران أو ثلاثة ليُنهي خدمته، وهو الدفعة التي عليها الدورل تُنهي خدمتها من ٤ دفعات طوال السنة"

- "اه اللي هيشيل الطين احنا المستجدين.. إنت عرفت اسمي منين؟! "

وصحيح إنت لابس أفرول زراعي "الزيتى المموهة" ده اتلغى من ٣ سنين ومش بردان أنا متلِج، ولابس الظنط والأفرول وبردان.؟

- أبدًا مش فارقة والفأرول بحب ألبسه لأن خامته أحلى من الجديد قطن، وإنت نايم عرفت إنك وصديقك يوسف منقولين جداد هنا وإنت هتمسك

الخدمه الشنجي وعرفت اسمك قلت لما أتعرف عليك، وألا إنت مش بتتعرف على ردايفة، ضحك الإثنان على مُزحة عمر الذي جلس بدوره بجانب محمد، وقام بإعداد الشاي باستخدام علبة المربى التي لا تؤكل.

أفرغ نصف العلبة وأشعل النار بها جاعلًا منها وقود، ثم وضع إبريق الشاي عليها، الشاي الذي كان أغلى ما تشربه، وتحصل عليه بـ الجيش في بعض المناطق بسيناء في هذا الجو القاتل كان محمد يرتدي ٣ شرابات بداخل البيادة، وكان يشعر بالبرد رُغم ذلك، أثناءإعداد الشاي حدثه الجندى "عمر":

- إنت عارف يا محمد إن المنطقة دي ليها تاريخ كبير جدًا.

- طيب احكيلي أدينا بنتسلى لحد ما تخلص الخدمة.

- انا هحكيلك حكاية كانت في حرب يوم الغفران أسف قصدي حرب أكتوبر.

- غفران إيه؟؟

-قالها محمد باستغراب فهو أول مرة يسمع هذا اللفظ

ولكن استدرج عمر قائلًا:-إنها حرب أكتوبر، وحرب يوم الغفران هو المسمى المقابل لدى الصهاينة للحرب لأنها قامت يوم عيد الغفران الخاص بهم..

وأكمل عمر حديثه إلى محمد قائلًا:

- "الوحدة دي كانت نقطةحصينة شايف التبّة اللي وراك دي تعرف إن دي لو كانت انضربت بالقنابل، والمدافع مكنش هيأثر فيها دي حجارة رملية في شبك كل ما تضرب تتفتت وتتماسك أكتر، و فيها كمية حديد، وحجارة كان صعب اختراقها".

- "ياه فعلًا كانت كده صحيح خير جنود جنود حرب أكتوبر حققوا المستحيل".

- ما علينا يا سيدي شوف دي كانت تحت قيادة عقيد إسرائيلي اسمه "موسى إفريم" كان عنده علم بالتلمود، وسحر الكابالا الكل هنا كان بيخاف منه، و ينفذوا أوامره بدافع الخوف مش العسكرية.

- "سحر ايه يا عم عمر احنا خدمة شينجى بلاش الحاجات دي يا راجل احكي عن البنات عن الحب عن حاجة حلوة كده".

- "إنت بتخاف وألا إيه يامحمد؟!

-خلي قلبك جامد إنت أسد في الجيش اسمع بس هحكيلك بس كل حاجة في وقتها، المهم في يوم قبل حرب أكتوبر بفترة جه القائد" إفريم " ومعاه عسكريين شكلهم يفزع كان كل جسمهم مشعر بشكل غريب أول ما دخل أمرنا محدش يقدر يتكلم معاهم، أو حتى يسألهم في حاجة نهائي، وكانت مهمتهم يراقبوا الضفة الغربية فوق التبة، شايف البرجين دول هما كانوا مُخصصين ليهم".

رد محمد: طيب أنا ابتديت أقلق منك تمام كَمل حصل إيه؟!

- ابدًا الكل كان بيخاف منهم محدش بيقرب ليهم شكلهم غريب منعزلين كانوا أول مايسمعوا أذان مصري في الراديو يجروا كإن ألف شيطان بيجري وراهم، ولما يرجعوا كانوا بيبقوا تعبانين وضعاف، ومش قادرين يمشوا احنا كنا بنشغل الراديو على المحطات المصرية كتير...جندى واحد كان عنده فضول "الفضول الذي قتل القط."!!

- طلع مرة بالليل يراقبهم بعد ما الكل نام لقاهم اتحولوا كلاب سُودا

ساعتها اتفزع بس مقدرش ينطق، ولا ينام ليل ولا نهار صحابه حاولوا يسألوه مقدرش يجاوب فضل يقنع نفسه إنها تهيؤات.

كان محمد يستمع إلى كلام عمر، وهو تنتابهُ قشعريرة غريبة جعلته يتقرب إلى "عمر" أكثر حتى صارا متلاصقي الأكتاف.

ضحك "عمر" وقال:

- إيه يا ابني مالك مفيناش من كده إنت خفت وألا إيه؟!

-لأ بردان يا ناصح كمل في ليلتك الحلوة دي.

قالها "محمد "وهو في قرارة نفسه يشعر بالخوف، ولكنه يحاول أن يتماسك أمام عمر كي لا يترك أولى انطباعاته كأنه شخص جبان أمامه.

ثم أكمل "عُمر":

- تاني يوم طلع يراقبهم مرة تاني ولقاهم المرة دي اتحولوا َتعابين سُودة ضخمة نزلوا القناة الغربية رغم إن القناة كان فيها ألغام بحرية تحت التبّة محصلش حاجه شفتهم لحد نص القناة، والضلمه بلعت كل شيء.

رد محمد على عمر في اندهاش:

- "شفتهم إزاي إنت اندمجت في الحكاية وألا إيه الله يخرب بيتك على جو الرعب ده في آخر الليل؟؟"

- يا سيدي قصدي الجندي شافهم متدُقش على الحاجات دي المهم، بعد فترة لقى إضاءة في لمح البصر على الضفة التَانية تعرف زي البرق كده بس كانت لثواني لمحات تنور، وتختفي شوية، ولقيت التعبانين راجعين فيهم واحد مجروح

كتير، و دم في كل حتة من جسمه وجنبه التعبان التاني بيجره.!!.

أكمل عمر حديثه وعيون محمد تتسع في دهشة مما يسمع ممزوجة بالخوف ويديه لا إراديًا تحتضن ذراع عمر.

- تاني يوم جه القائد بصلي بصة غريبة وعرف إني عرفت سر الجنديين طلع معايا على التبة وقالي إن دول اتنين من الجن اليهود كانوا بيروحوا الجبهة، وكان في جن مُسلم هناك، والحرب بينهم زينا بالظبط، كنت عاوز ابعَتهم يقضوا همزهم "خنقهم " على الجنود لكن اللي تصدى ليهم جنود من الجن المسلم على البر التاني.

وأنا باصص للجبهة محستش إلا وخنجر القائد على رقبتي بعدها لحظات من الألم وأنا بطلع صوت حشرجة ذي الشخير اللي بيطلع من أي حيوان مدبُوح، والدم غرق المكان وآخر حاجة شفتها وجه القائد" أفريم " الأسود وهو يبتسم ابتسامة خبيثة وينصرف، ومحدش عرِف حاجة بعد ما رمى الجثة في القناة وقال للجميع إنها طلقة من قناص مصري، وده اللي اتكتب في سجل النقطة.

قاطعه محمد وهو لا يستطيع السيطرة على تلك الرعشة التي انتابته.

- "إيه ده يا عم أنا جتتي اتلبشت..كويس إن الصبح طلع وإلا كانت هتبقى ليلة مش باينة ".

فرد عليه عمر :

- طيب أسيبك أنا علشان ألبس ورايا خدمة وطابور الجمع.

-استوقفه محمد :

-استنى صحيح لما مات الجندي مين اللي عرف الحكاية وحكاها، وإنت عرفتها إزاي؟!

- بكره لو اتقابلنا في الخدمة هحكيلك.

رحل عمر وعلى ضوء أول خيوط الصباح من شروق الشمس لمح محمد خط بلون أحمر يحيط بعنق عمر، وهو ينصرف أشبه بجرح و لكنه لا ينزف نادى عليه ليسأله لكنه كان قد ابتعد..

نزل" محمد" من خدمته بعد أن بادله زميله بالخدمة، وحضر طابور الجمع الصباحي تفحص الوجوه لم ير عمر، وسأل عنه الجميع، فلم يعرفه أحد لا بالإسم، ولا بالوصف.

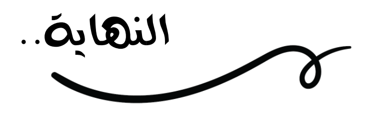
لم يهدأ لمحمد بال وحكى ما حدث لكل زملائه حتى وصل الخبر إلى الضابط قائد الكمين أخذ "محمد " وصعد إلى التبَّة، وهناك بجانب غرفة القيادة أراه لوحة بأسماء الجنود الإسرائيليين استوقفه اسم جندي إسرائيلي اسمه "عميرام "، وبجانبه قُتل برصاصة قناص مصري.

أخبره الضابط أنه شبح يظهر كل سنة في شهر أكتوبر لأي جندي مستجد يحكي له نفس القصة التي تتكرر كل مرة بنفس التفاصيل، وأخبره أن لا يقلق إلا في شهر أكتوبر القادم.

كاد محمد أن يفقد وعيه، وهو يندب حاله مثل النساء أمام الضابط قائلًا:

- يا سواد السواد وأنا اللي كنت ماسك فيه طول الليل، وحاضن دراعه وشربنا الشاي؟!

قالها محمد ثم فقد وعيه..



مبعوث ست

استمع الجميع في دهشة وتركيز كبير لقصة "تل سلام" التي تلاها لتوه الجندي الجريح،ثم قمت بضرب القرعة مرة أخرى. فكانت تلك المرة من نصيب صاحبها الرجل ذو الجسد البشري، و الرأس الذي يحمل ملامح تشبه رأس الحمار ، والذي بدا وكأنه النتر "ست"، وقد خرج لتوه من بردية مصرية قديمة امسك بجربته الفضية التي ظهرت فجأة لامعة كالبدر من اللامكان، ووقف على قدميه وبدأ في تلاوة مقاطع، وكأنها ترنيمة غريبة قائلًا بصوته الغريب:





(مبعوث ست) [١]

-يا من أنجبته الأرباب، حينما فلقت الليل شطرين وخلعت عليه هيئة "ست"، واندفعت خارجًا في عنف من رحم أمك وخرجت من جانبها ولم تنتظر...

-يا صاحب الخصوبة الشديد كالثور...

-أنت من هزم الموت وهربت يوم موتك منه إلى العالم الآخر لترعى "رع"، وتحميه فوق مركب الشمس في الأفق الغربي بـ حربتك اللامعة كالفضة المصنوعة بيديك..

-يا من تقاتل ثعبان أبوفيس "عابِب"...

-يا من تأتي على وجوه الأرواح بقوة في العالم السفلي تطرد بها الشرور المعادية أنت "ست" أصل الإضطراب الذي يرعد في أفق السماء، وتُنزل الأعاصير، والمطر.

- أنت "ست" الغامض سيد الرعب، والفزع، الوجه الآخر من النقيضين الخير، والشر، وسيد القوى السلبية، منبوذ النيل إلى الصحراء، وحاكمها، و حامي نيرانها، محرك العواصف، وسيد الظلام صاحب القوة، وحافظ أسرار الخلود، صاحب المكر والدهاء المُخادع الأول من استطاع خداع الموت والهروب منه.

---

(١) أحداث ظهور السلعوة بناء على أحداث واقعية وبقية الأحداث خيالية مبنية وفقًا لعلم الميثولوجيا والأساطير والعقيدة الكيميتة "المصرية " القديمة.

تلا الرجل المسخ هذه الترنيمة – أو قل التعويذة – بلا أي مقدمات، ثم بدأ في قص حكايته التي لا تقل غرابة عن تعويذته على مسامع الجالسين قائلًا:

قرأ عمر ذلك النص المدون بالكتابة الهيروغليفية من تلك البردية التي يمتلكها سرًا منذ أن وجدها خلال أحد الحفريات والتنقيبات السرية غير الشرعية في قرية طوخ التابعة لمدينة نقادة والتي تقع على الشاطئ الغربي للنيل في محافظة قنا في موقع متوسط تقريبًا بين قنا والأقصر.

تذكر عمر لحظة العثور على المقبرة منذ خمس أعوام وعندما دخل إليها وجدها مجرد مقبرة صغيرة على شكل غرفة بيضاوية لكنها حملت تفاصيل غريبة ليس لها نظير في أي مقبرة مصرية عُرفت من قبل، فقد زُينت جدرانها برسم عملاق لكائن غريب الشكل ذو رأس أشبه بالحمار، ولكنه رأس مستطيل يحمل أُذنان كبيرتان غير مدببة بل مربعة الشكل ولون رأسه أحمر قانٍ، وعيناه لوزيتا الشكل، ويحمل هذا الرأس جسدًا بشريًا لكنه يحمل زوج من الأقدام التي تشبه الظِلف كـ حوافر الشاه المشقوقة، وذيله منتصب، و مشقوق الطرف مثل لسان الأفعى.

تذكر ذلك النقش بكل تفاصيله الدقيقة لأنه كان الوحيد الذي نزل إلى تلك المقبرة الغريبة التي لم تكن تحتوي سوى على صندوق خشبي متوسط الحجم مُزين بالنقوش والرسوم الملونة ظنَّه في بادئ الأمر صُندوقًا لحفظ كنوز المقبرة لكن دهشته وإحباطه قفزا إلى الذروة حين تبين له أن الصندوق لا يحتوي إلا على لفافة واحدة من البردي موضوعة بداخله بعناية، بينما خلت المقبرة من أية محتويات أخرى في سابقة غريبة من نوعها، فخرج منها خالي الوفاض، و لعن حظه الذي

أوقعه على مقبرة خالية ربما تكون قد تمت سرقتها، وشعر بالسُخط والغضب حسرةً على جهوده التي ضاعت سدىً.

لكن ما حدث بعد ذلك كان أشد وطأة وأكثر أثرًا في ذاكرته حيث اعترته رهبة شديدة حين توجه إلى الصندوق الخشبي، وفتحه ليخرج منه اللفافة وأمسك بها ليشعر بانتفاضة هائلة، وكأن صاعقة كهربائية شديدة قد أصابته، أو أن لسانًا من البرق ضربه دون أي أثر ملموس للصعق أو الحرق، وحين فتحها وجد حروفًا هيروغليفية كثيرة باللونين الأحمر والأسود، فانتابه شعور بأن تلك البردية هامة للدرجة التي تجعل صُناع المقبرة عازمين على تخصيصها فقط من أجل حفظ تلك البردية دون أية محتويات أخرى، وأنها تخص صاحب النقش الغريب، علم ذلك بعد أن فحص المقبرة، وتأكد أنه هو أول من وطأها، كان ذلك واضحًا من مظهر التراب الساكن بلا أي علامات قديمة، أو جديدة والذي كان يُغلف كل شيء بالإضافة إلى الهواء الراكد.

ومنذ تلك الواقعة فقد واظب على التردد على الأماكن المتخصصة ليتعلم اللغة المصرية القديمة ويدرسها بل والتحق بالتعليم المفتوح ليدرس الآثار حتى أتقنها قراءةً وكتابةً كل هذا من أجل اكتشاف أسرار تلك البردية التي كان يعلم أنها ليست برديّة عادية بل هي استثنائية وفريدة من نوعها كذلك، مر عامان على تلك الواقعة حتى جاء اليوم الذي تمكن فيه من قراءة المقدمة، والتي أنبأته بأن البردية تخص المعبود القديم "ست"، والذي كان المصريون القدماء يعتبرونه إلهًا للشر والفوضى، وقد علم كذلك أن البردية تحتوي على أسرار قديمة تتحدث عن

كيفية استخدام القوة السحرية لهذا المعبود الغامض، ودوره في الخلود، والحماية ضد الموت، والشر، والفساد.

وخلال العامين التاليين ظل يتخبط بين أروقة السحرة الدجالين والمشعوذين، وتذكر ما أنفقه من مال على تلك الأمور حتى تيقن من دجلهم وخداعهم، وتحسر على المال الذي أنفقه، حتى واتاه الحظ مرة أخرى في أحد الأيام حين عثر أيضًا على كتاب مُهمل لدى أحد الدجالين – والذي لم يكن يعلم أهمية ما يحتويه – فتعلم منه أُسس، وقواعد السحر السُفلي...

ومع نصوص البردية مستعينًا بالكتاب بدأ في إتقان تلاوة وتنفيذ التعاويذ الواردة في البردية، وها هو الآن بعد مرور ثلاث أعوام من تعلمه للغة القديمة بالإضافة إلى عامين آخرين مريرين في تعلم قواعد ممارسة السحر قد تمكن أخيرًا من فهم سر البردية، وقوة تعويذاتها وكيفية تنفيذها.

اليوم هو جالس في منزله بقنا جنوب مصر في صيف عام ١٩٩٦ وقد بلغ من العمر عامه الثامن والعشرين وقد صار متزوجًا من ابنة عمه "عزيزة" وقد احتفل في نفس العام بيوم ميلاد نجله الأول حسن، اليوم أيضًا قد مضى على اكتشافه للبردية خمس أعوام كاملة قضاها في الدراسة، والبحث لاكتشاف أسرارها، وقد علم الآن أن الطريق أصبح مفتوحًا لأن يُجري تجاربه بثقة كبيرة دون الحاجة للجوء إلى غيره من النصابين والدجالين.

جهز غرفة القبو استعدادًا لتلك الليلة التي عزِم فيها أن يُجري تجاربه، وقد أرسل زوجته وابنه إلى منزل أهلها في محافظة سوهاج كي يطمئن إلى أنهما

سيكونان في مأمن من حدوث أي خطأ قد يقع له أو خطر قد يُداهمه فما يزال في شك من هذا خاصةً حين يتذكر السمعة السيئة للمعبود "ست"، والذي يوشك أن يقرأ تعويذته من برديته التي وجدها في مقبرته الغامضة.

رسم بعض الدوائر والنجوم على الأرض أسفل قدميه، وأضاء الشموع في دائرة أخرى، وأحضر بعض البخور وفق الطقوس السحرية التي تعلمها من كتاب الدجال الذي حصل عليه، وحين أطلق البخور انتابه شعور مُنفر من رائحته رغم أنه كان بخورًا ذو رائحة عطرية جيدة إلا أنه كان ذو عبق خانق، ورائحة ثقيلة على نفسه دون أن يُدرك لذلك سببًا.

الآن يجلس داخل الدائرة التي رسمها ثم فتح لفافة البردي بتوترعصبي فسقطت من يده، تناولها مرة أخرى، وهو يضحك بهستيريا، لكنها تبدوضحكات ماجنة لضبع أرقط يعوي بضحكة الموت، لكنه شرع في تلاوة تعويذة استجلاب وتبجيل "ست":

-يا من تقف أمام مقصورة "أتوم" فوق متن القارب المرتحل بالعالم السفلي، وأغرقت قارب أعدائك، امنحني سطوتك، وسحرك كي أدمر أعدائي، وانتصر عليهم، لقد أحضرت لك قربانًا من البخور والدهن العطري، وطهرت نفسي به، وأقدم لك كل جميل، وطيب بما يسعد روحك، ويجعلك راضي سعيد القلب أيها السيد المُبجل.....أبتهل إليك يا حارس الـ "أمنتت" للعالم السفلي وقائد المركب أتيت إليك في عالمك، واقتربت لكي أرى قوتك يا "ست" لعلك ترضى وتمنحني قوتك ورؤيتك..

رفعت يدي بالتحية و التبجيل باسمك الذي هو الحق والصدق في عالمك الذي لا ينمو في أرضه الصفصاف، ويخلو من الأشجار، ولا ينبُت به عُشبًا في الصحراء الحمراء التي هي مكانك الطاهر المقدس.. فلتأتِ عن يميني، ويساري، ولا تأتِ من خلفي، أو من أسفلي.

أنت الذي أبحرت في مياه النهر السماوي، و عثرت على الطريق إلى شجرة الـ "شينتيت"، وكنت بمدينة "آبو" حيث معبد "سات"، حررني من قُيودي، كي أستطيع أن أجد طريقي إلى المكان الذي لا يَنبت فيه شيء، وأرتدي الأثواب التي هناك، أثواب حكمتك، ومُلكك....

حقًا لقد ابتهلت إليك "ست"، كي تُقر، وتسعد، لأنال حمايتك وقوتك، أخبرني بأسرارك ودع سحرك يملأ قلبي.. سوف ألتزم الصمت لتأتِ إليَّ أو ترسل حارسك المحتجب لأُطالع الأسرار الخفية يا سيد الظلام.

انتهى "عُمر" من تلاوة التعويذة وانتظر لبرهة ليرى أثر كلامه لكن بمرور الوقت لم يحدث شيء، مرت بضع دقائق أخرى والشك قد جعل رأسه تمامًا أشبه بملعب كرة مكتظ حيث لاعبون ومشجعين في مباراة صاخبة من كثرة الأفكار وتزاحمها، ولم تطل حيرته طويلًا حتى اهتز المكان وامتلأ بدُخان أسود كثيف ذو رائحة نتنة، جعلت جسدهُ ينتفض من هول المفاجأة وراوده ذات الشعور الذي اجتاح جسده حينما شعر بالصاعقة التي انتابته منذ خمس أعوام عندما لامست أنامله البردية للمرة الأولى...

تجسد كائن من الجانب الأيسر، وظهر بكل تفاصيله التي رآها بالنقش على

جدار المقبرة ومن هول الموقف لم يستطع أن يُدير رأسه إليه لكنه سمع فحيح و لهاث بجانب أذنه وهو يُحدثه بصوت وكأنه يأتي من أغوار سحيقة:

- لقد نلت عفوي والرضا أيها البشري لقد آن الأوان لكي يعود السيد إلى العرش لحكم "الجنوب" مرة أخرى سأُغدق عليك من كرمي ولكن يجب أن تستكمل طقوس استدعائي وحضوري مرة أخرى ليكتمل نصاب الحكم للعالم السفلي أيضًا.

-أجابه "عمر " في رهبة: " أمرك مطاع سيدي"

عاوده الصوت من جديد :

- سوف أرسل إليك ابني ومبعوثي إلى عالمك كي يتغذى على أرواح ودماء البشر جراد الأرض، هذا هو قرباني الأول كي أسترد قوتي وسحري فلا تُغضبه ولتُبقيه معك نهارًا ترعاه، وأطلق سراحه ليلًا ليحصل على غذائه.

تجمد عمر في ذهول من وقع ما يسمعه، مصدومًا من ظهور هذاالكيان الرهيب الذي يُحادثه في حين قد عاود الكيان حديثه المُدوي:

- اسمه بالولادة "لوعة الهزيمة" واسمه في العالم السفلي "لهيب الانتقام"، فـ لتدّعوه بـ "لوعة ست" وليكن اسمه في عالمك لدى البشر "السلعوة"، إن أصابه أذىً فسيكون في ذلك هلاكك، سيُقيم في عالمكم سبعة أيام يجول ليلًا، وينام نهارًا، سيقع في براثنه الكثيرون ولن يمسه أحدٌ بأذى.

قالها "ست" الذي تلاشى فجأة على إثر توجيهاته التي أصابت "عُمر" بالارتباك و بدأ يستشعر الندم على تورطه في تلك الطقوس ولكنه كان قد سار في الطريق فقرر أن يتممه إذن إلى نهايته.

انطلقت السلعوة في صعيد مصر، وتحديدًا في قنا في صيف عام ١٩٩٦، أثارت ذعر المدينة، ومن ثَم في اليوم الثاني الصعيد بأكمله، ومن بعده جنوب القاهرة، والشرقية، والمنوفية، وضجت صفحات الجرائد، والبرامج الإخبارية، والصحافة بذلك الحدث، وظهور ذلك الكائن المرعب، واستمر الإعلام يتحدث عن مواصفات ذلك الكائن المشوه الذي لم يجدوا له وصفًا، ولا شبيهًا سوى تشبيهه بالكلب، ويُرجح آخرون أنه خليط بين الذئب، والكلب، والثعلب، وظن الجميع أنه سلالة مهجنة، أو توالد بين فصائل بيولوجية مختلفة.

لكن مع كثرة أعداد الضحايا التي بلغت المئات مما أدى إلى إثارة ذعر المواطنين والحكومة المصرية -على حد سواء- بسبب قوته وعدم تمكن أي شخص من إمساكه، ومن حاول مواجهته انتهى مصيره بموته وتمزيقه، وانتشرت البيانات التحذيرية بعدم خروج المواطنين من بيوتهم ليلًا بعد أن صار هذا الكائن المعروف بـ السلعوة "مبعوث ست" وابنه حديث مصر بأكملها قد اختفى مرة أخرى فجأة كما ظهر من العدم بعد أسبوع كامل كما وعد "ست".

حضر "ست" مرة أخرى إلى "عُمر" في هيئة بشرية كاملة في صورة شاب غاية في الجمال، والوسامة، وبعد أن أقنعه بأنه نفس الكيان الذي حضر من قبل طلب من عمر أن يقيم في بيته مما أوقع عمر في الحيرة، ولكنه خضع لـ"ست"، فلم يستطع أن يجادله، وأخبر زوجته بعد عودتها أنه ضيف سيُقيم معهم لفترة إلى أن يجد سكنًا آخر، انقبضت فرائص زوجة "عُمر" حين رأت "ست" المتجسد في صورة الرجل الوسيم وشعرت بعدم الارتياح من مرآة، ولاحظ هو عليها

أمارات القلق والانقباض فقال لها "ست" بلهجة تمثيلية خاصة:

- أنا شقيق "عمر" في الرضاعة، و أُدعى "سيد"، وقد قدمت اليوم فقط من خارج البلاد.

وقام عمر بتقديم زوجته "عزيزة" وابنه "حسن" إلى "ست" الذي أطلق على نفسه اسم "سيد".

والذي قال معلقًا في لهجة غامضة:

- "عزيزة" تُذكرني بزوجة أخي "عُزير" - المعروف بـ "أوزيريس" - والتي تُدعى "عيزة" ويُطلقون عليها "إيزيس"، أما ابنكما حسن فهو في نفس عمر ابن أخي "حور" المعروف باسم "حورس".

اندهشت "عزيزة" من وقع تلك الأسماء فهي فتاة صعيدية من عائلة محافظة لم تحتك بأي صنف من صنوف المعرفة التاريخية القديمة، أو الحديثة فكانت تلك الأسماء تشبه أسماء الأجانب على مسامع أذنها هي التي لم تخرج من دار والدها من قبل إلا إلى بيت زوجها، فألقت التحية بصمت، وانصرفت إلى غرفتها في حياء.

أسرع "عُمر" ليحدث "ست":

- ماذا يحدث سيدي؟ ولماذا تذكر أسماء أخيك وزوجته وابنه؟ هم مستقرون في العالم الآخر، فلماذا التشبيه والتذكير؟!

لطمه "ست" بيده لطمة عنيفة أدمت شفتيه وهو يقول في صرامة:

- اصمت يا دودة الأرض، افْعل ما أشاء، كي أستعيد كامل قوتي يجب أن تقوم بما أمرك به دون أدنى تردد، فإنك قمت بطقوس إعادة بعثي، وتجسيد حياتي

مرة أخرى لذا يجب أن أسترد النصر الذي سُلب مني، وعند جلوسي على عرشي ستحصل على الحُكم، والقوة التي تريدها تحت قيادتي.

أجابه عمر في خضوع:

- " السمع والطاعة يا سيدي ".

في الدقائق التالية أمره "ست" وطلب منه شيء غريب وقاسٍ، لقد أمره أن يقطع إحدى خصيتيه أمامه الآن وفي التو!

- نظر إليه "عُمر" بنظرة ملؤها الصدمة، لكن صفعة أخرى جعلته يقوم بتنفيذ ما أمره به بعد تردد كبير لكن دون أي كلمة إضافية.

كان الألم رهيبًا وظل الجرح ينزف بغزارة لكنه تحامل على نفسه وفعلها؛ ولما؟! ببساطة لأنه يعلم أن الموت الزؤام هو البديل الفوري، والجزاء المؤكد لعصيان أوامر هذا الكيان الرهيب الذي جلبه إلى العالم بنفسه.

أخذ ست خصية "عمر"، وابتلعها أمام دهشة "عُمر"، وصدمته، وألمه قائلًا:

- ها أنا قد استرددت ما سلبه مني "حور" في صراعه حينما أخذت عيونه فقطع بحربته إحدى خصيتيَّ.

وفي اللحظات التالية أمره "ست" بأن يُحضر زوجته مما صاعد الدهشة والخوف والذعر في نفس "عمر" لغرابة طلبه، ووقع في دوامة من التردد لكنه انسحب في هدوءٍ يجر قدميه لـ استدعائها خوفًا من غضب "ست" والحيرة، والقلق يعصفان بنفسه، ثم أحضرها لـ يتفحصها "ست" قليلًا وشبح ابتسامة ترتسم على وجهه المُقبض قبل أن يقوم "ست" بعمل آخر مُستنْكر عندما فتح

فمها بيده في ظل رضوخ غريب منها، واستسلامها تحت نظراته المغناطيسية التي جعلتها كالفريسة المستكينة، وفي اللحظات التالية قد أخرَج لسانها من فمها، وشقه نصفين بحركة سريعة من إصبعه الذي تحول إلى مخلب حاد شق به لسان الزوجة فصار مثل لسان الأفعى!.

فجأة أفاقت من استكَانتها على ألم شنيع، وانتفض جسدها المعلق بين ذراعي " ست " القوية وهي ترفس برجليها الفراغ وتخمش بأظفارها جسد "ست" دون جدوى و عيناها تدوران في محجريهما بحثًا عن زوجها وابن عمها، وحاميها المفترض لإنقاذها من هذا الشيطا. لكنه كان واقفًا بلا حيلة، وهومطأطئ رأسه في استسلام عجيب قبل أن يتمتم بكلمات خافتة:

- لا تجزعي يا "عزيزة" سيُعيدنا إلى سيرتنا الأولى، فستُشفى الجراح سريعًا، و سنحكم مصر معًا بالقوة التي سيمُدنا بها فضلًا عن المال والكنوز الوفيرة.

- لا تقلقي من ذلك.

نظرت الزوجة نظرة أخيرة إلى زوجها تهيب به أن ينجدها، ولكن بلا أي استجابة، أو رد ..!

أفلتها "ست" في هذه اللحظة فنظرت إلى زوجها الخانع مرة أخرى وبصقت نحوه ما احتشد في فمها من دماء وجلست مضرجة بدمائها النازفة على الأرض خائرة القوى من جراء ذلك الجرح البليغ، والألم الذي سلبها عافيتها، وتدلى ذراعيها في استسلام، وعجزت عن الكلام من هول الألم، والصدمة، وخيبة الأمل.

زأر "ست" مرة أخرى وهو يقول بصوت رج أرجاء المنزل:

- ها أنا قد رددت اعتباري بعد ما قامت به العاهرة الغاوية "عيزة" والتي يطلقون عليها "إيزيس" حين طلبت الزواج منها فرفضت، و رُغم كل مَحظياتي "نيت" "نفتيس" و "تاوريت"، و زوجاتي " عنات "، "عشتروت"، "عشتار"، لكنهن جميعا فشلن بإشباع رغباتي وتعويضي عن شغفي ب "إيزيس" فتحولت إلى هيئتي القوية، وحللت في صورة الثور ذو القوة، والإخصاب، وطاردت "إيزيس"، ولكن اللعينة كشفتني بسحرها، وكانت تحمل سكينًا شقت به ذيلي إلى نصفين لتعرفني عن بُعد، وتهرب مني كلما أتيت إليها متنكرًا، ها أنا أسترد ذيلي سليمًا مرة أخرى.

انخرط "ست" في تلاوات غامضة يصاحبها أصوات زئيروهمهمات مُبهمة فوقع الزوجين تحت تأثيره، وغرقوا في سُباتٍ عجيب وهم أيقاظ، ولم يحرك لأحدهما ساكنا عندما قام "ست" بمضاجعة "عزيزة" أمام زوجها، وكلاهما غارق في صمتٍ رهيب من الصدمة تحت تأثير سحر وكاريزما "ست" فأصبحا مثل دميتين من دمى الماريونيت يحركهما "ست" كيفما يشاء بلا أدنى مقاومة منهما، بينما ظل "حسن" ابنهما على الأرض يبكي، ويتقلب بعد أن غاب عنه حضن أمه، انتهى ست من فعلته أمام عينيّ عمر التي انسابت منهما الدموع، ولم يكتف "ست" بكل تلك الجرائم فأعقبهم بجريمة أخرى حين وطئ بقدمه على جسد ابنهما الرضيع قبل أن يطعَنه بحربة ظهرت من الفراغ فجأة وبدم بارد و إذا به يطعن أمه بنفس الحربة دون أن يرمش له جفن!.

وبآخر ما تبقى له من قوة تسري في عروقه صرخ عمر باكيًاوهو يهتف بمنتهى السخط:

- لماذا فعلت ذلك يا "ست"؟؟ لقد جلبتُك إلى هذا العالم لتكون حاكمًا و اكون بجانبك.

أطلق "ست" ضحكة جنونية جلجلت كأصوات ألف ضبع مرقط قائلًا في لهجة متشفية:

- لا يوجد في الحكم شركاء أيها الغبي الفاني، يا دودة الأرض القذرة، ومع ذلك فلن أقتلك لتشاهد دمار، وخراب عالمك بعينيك، نستطيع القول الآن بأن رهانك كان خاسرًا أيها الجشع، و أنك خسرت كل شيء، ولن يتبقى لك إلا الحسرة فأنا"ست" سيد الشر، والظلام.

ثم أولاه ظهره وهم بالانصراف عنه، لكن عمر صرخ فيه وقد دفعه اليأس، وخسران أسرته وحياته إلى التخلص من كل ما فعل في حق نفسه من خوف، وخشية تجاه "ست" فهتف قائلًا:

- هذا خطؤك الأول والأخير أيها الشيطان، فكما تعلمت طريقة استحضارك، فلقد تعلمت أيضًا طريقة إرسالك إلى حيث عدت أيها اللعين، لم يغفل الكهنة الذين كتبوا اللفافة تلك الجزئية.

ردد عمر بعض كلمات وهو يعلم أنه على وشك أن يلفظ أنفاسه الأخيرة بعد لحظات، وقام بإحراق البردية بقداحه، وهو يشاهد "ست" وهو يصرخ ويضحك في آنٍ واحد كالضبع، وقد اشتعلت النيران بجسده قبل أن تأتي النيران الرهيبة على جسده بالكامل، ويحترق كامل جسده أمام عينيّ "عمر" الذي شعر قواه تخور

تدريجيًا، ويتسرب الوعي منه وتخفُت أنفاسه، فقط كان آخر ما سمعه من "ست" قبل احتراقه بضع كلمات:

- لقد أحرقت جسدي وحده يا دودة الأرض، ولكن روحي ما زالت تُخيم على عالمك وسيظل حارسي ومبعوثي يجوب الأرض.

وظلت صيحاته تتردد في جنبات المكان بعد أن احترق الجسد بالكامل لتكون آخر ما استطاع "عمر" سماعه قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة:

- سوف أعود.. سوف أعود... سوف أعـ....

❀ ❀ ❀

نشرت الصحف بعد أسبوع من تلك الأحداث خبر صغير عن عودة ظهور السلعوة في أحدث هجماتها، لكنها لم تكن الأخيرة، فقد تتالت بعد ذلك بعدة أعوام أخبار الصحف الرسمية عن أحداث مماثلة:

☜ هجمات متفرقة للسلعوة بين ١٩٩٦ – ٢٠٠٥

☜ عودة السلعوة عام ٢٠٠٥

☜ ظهور السلعوة في المرج ٢٠٠٧

☜ ظهور السلعوة في محافظة أسوان ٢٠٠٨

☜ ظهور السلعوة في قرية الشبراوية ٢٠٠٩

☜ قصص انتشرت عن ظهور السلعوه وقتلها عام ٢٠١١ و ٢٠١٢

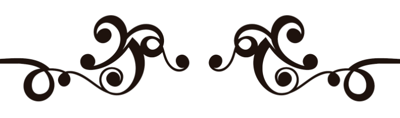
النهاية..

نحلة شاردة

انتهى ست من قصته ثم ضُربت القرعة مرة أخرى والجميع يلتقط الجعارين وعلامات الخيبة ظهرت على وجوههم ولم ينطق أحد تلك المرة فنظر الجميع إلى الشاب الذي يحمل هاتفه المحمول والذي لم ينظر إلى قطعته مما أغضب الجميع فانتبه ونظر إليها قائلًا:

"أسف يا جماعه كنت برد على صحابي الشياطين في الجحيم الدور عليا أنا وقصتي هي".





نحلة شاردة

استفاق من نومه و نهض من الفراش وذهب إلى دورة المياه، وأثناء جلوسه أشعل سيجارته الصباحية كعادته، راودته أفكار التغيير والبداية من جديد مع أنفاس سيجارته التي ألهبت صدره بالسرطان والدخان، وأشعلت فتيل فكره، وهو يتخلص من فضلات معدته، وقد استقر اليوم على أنه سيكون بداية التغيير الشامل لحياته، بل لن يرضى بفعل اللاشيء، ثم انتهى من حمامه.

بعد خروجه ليُعد لنفسه فنجان من القهوة، و يُغير ملابس النوم استعداداً للخروج، جلس على جهازه ليشرب فنجان القهوة، ويُطالع الجديد في الأخبار، فتح الفيس بوك الخاص به.

انتهى الفنجان، ثم اندمج بالأخبار، وآخر الأحداث على صفحته، ورسائل الدردشة، و قام ليُعد له فنجانا آخر من القهوة، وعاد لِجهازه، انقضى الوقت سريعًا ليرى أن ساعته تُشير إلى الثانية عشر ظهرًا، و آذان الظهر تصدح به الزوايا والمساجد من حوله، قام غاضبًا من مقعده على ضياع يومه غيَّر ملابسه مرة أخرى، وارتدى ملابس المنزل.

خرج مع عائلته ليتناول وجبة الغداء ثم أعد لنفسه كوب من الشاي وعاد إلى غرفته وجهازه ساعات من الدردشة، والمتعة السريعة مع صديقاته الكثيرات، ثم ها هو العصر يُعلن انصرام نهار يومه إلا من سويعات قليلة، وبعد المغرب خرج ليتناول وجبة العشاء مع عائلته، وسط نظرات الملامة، والعتاب من أصغر فرد بها إلى والديه على كسله وعدم نشاطه، مرَّ يوم والثانى شهر كامل كل يوم مثل

الـذي سـبقه وبـنفس الخطـوات، والأحـداث كأنهـا حلقـة مسلـسل كـوري مُعـادة يوميًا، أو عقاب مثل عقاب أسطورة "سيزيف".

اليوم كان مختلف فبعد أن شرب قهوته، وجلس على جهازه خمس دقائق ثم صاح في غضب "لااااااااا"، نهض ليخرج إلى أقرب سنترال فقد تم قطع الخدمة عنه فى المساء وهو نائم، فذهب يُسدد فاتورة شركة الإتصال التي تمده بخدمة الإنترنت، وأثناء عودته انبهر بما شاهده في الخارج من محلات تجارية والمترددين عليها بين دخول وخروج! ومن العربات، ووسائل المواصلات، والزحمة، والناس السائرة، والجالسة في الكافيهات ومحلات العصير.

خلية نحل بشرية عملاقة لا تهدأ وهو الذي كان يعتقد أن الحياة خارج غرفته، و الكون لا يتحرك، والحياة جثة هامدة لا روح بها كجسد بلا حراك ليكتشف أنه نحلة قد ضلت طريقها عن الخلية، و شردت إلى أماكن مجهولة، وميتة مصيرها الهلاك إن لم ترجع إلى مسارها.

عاد إلى بيته وقد قرر أن يكون نحلة لن يكون بعد اليوم قذر مثل الذباب، وبلا فائدة سوى اللزوجة وتكرار الأفعال، ثم تذكر أنه قرأ قبل ذلك عن أن ذاكرة الذبابه لا تتعدى خمس ثواني فاعتذر لها عن اتهامها، وقرر أن لا يكون نسخته الشخصية اللزجة الكسولة القديمة سوف يكون نحلة.

وفى اليوم التالي دخل إلى دورة المياه أشعل سيجارته الصباحية راودته الكثير من الأفكار البناءة والرائعة.

قبل أن ينهض قال لنفسه:

" سوف أصبح نحلة من جديد"

خرج جلس خمسة دقائق أمام "الفيس بوك" نسيَّ نفسه، وضاع الوقت ثم لام نفسه، ولكي لا يُحملها الخطأ لأيام قادمة كثيرة قال:-غدًا سيكون التغيير.

وفى اليوم التالى دخل دورة المياه وهو خارج قال لنفسه:

"سوف أصبح نحلة"

واليوم الذي يليه قال لنفسه:

"سوف أصبح"

واليوم الذي يليه قال لنفسه:

"سوف"

والذي يليه

سوف...وسوف... وسوف...

مر شهر آخر وهو يقول سوف

وشهور حتى اكمل عام كامل آخر في تسويف، واستمر حتى صباح اليوم الألف ١٠٠٠

بعد قوله: " سوف أصبح نحلة من جديد"

وُجد ميتًا وبجانبه ورقه كُتب عليها "سوف تُصبح نحلة".

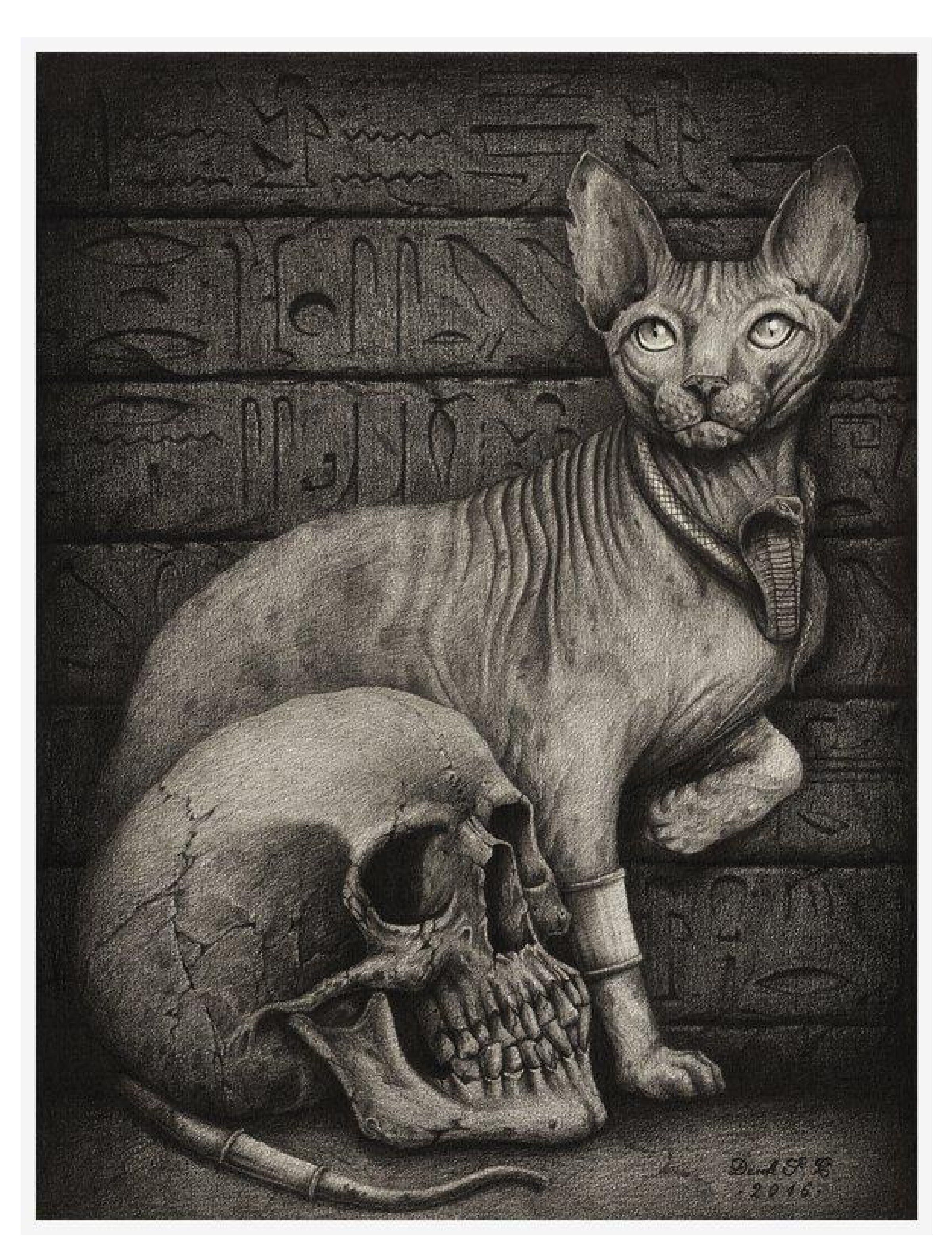
النهاية..

لغز مقبرة الجبل

نظر الجميع إليه كانت نظراتهم ما بين شفقة، عتاب، واحتقار لسلبياته، و تسويفه ثم ضربت القرعة

مرة أخرى فجاءت من نصيب القط الأبيض الذي تأهب ولكن لم يتحول إلى بشري فقط جلس متربعًا كالكاتب المصرى، وتحدث بصوت بشري مما افزعني وجعل الجميع يضحك، وهم يصبون أقداح الشاي كان ذلك الكوب الخامس لي مما جعل مثانتي تكاد تنفجر ، ورفضت شرب المزيد استعد القط الأبيض كالثلج لأن يروي حكايته بدوره فبدأ كلامه قائلًا :





لغز مقبرة الجبل

انتظرته تلك الليلة فوق قمة الجبل أمام تلك المقبرة المنهوبة في الظلام، صوت بومة قريبة تنعبْ فى رتابة كل خمس دقائق..

لقد علمت هذا ها هو شبح الرجل قادمًا يُغلفه الظلام، وصوت خطواته تعلو مع صوت لهاثه، وعندما اقترب أشعلت ضوء المصباح اليدوي في وجهه حاملًا السلاح الميري "طبنجة ٩ مللي" هاتفًا به:

- ولا حركة اثبت محلك، وإلا أطلقت عليك الرصاص.؟

سقط قلبه بين قدميه من الدهشة قائلًا:

- كيف علمت بخطتي كيف؟!؟ وهو يكاد يصرخ باكيًا.

❀❀❀

صوت طرقات على الباب أجبر المقدم "خالد" على التوقف عن سرد أحداث قصته التي يقصها على أبنائه الثلاثة أثناء إعداد والدتهم وجبة العشاء، فها هو ابنه الأكبر يوسف طالب الثانوية العامة البالغ من العمر ١٧ عام قد انتهى من دروسه ليعود إلى المنزل في تلك اللحظة ليقطع استرسال والده في أحداث القصة التي أوشكت على الانتهاء مما أثار سخط باقى إخوته، وطالبوا والدهم بأن يُكمل قصته ولكن اعترض يوسف قائلًا:

- لا أريد حرق النهاية أريد أن أسمعها من بدايتها.!

ضحك الوالد وقال:

- وما ذنب أخوتك في الإعادة والتكرار؟

رد عليه يوسف بسرعة كي يسيطر على الموقف:

- في الإعادة إفادة، ومتعة التركيز في التفاصيل.

قامت والدة يوسف في تلك اللحظة بالتدخل، وإعلان أن مائدة العشاء قد جُهزت.

نهض الجميع إلى المائدة بعد أن طمأنهم والدهم أن القصة ستُحكى من جديد بعد العشاء، ولكن مع توقيع عقاب مناسب على أخيهم يوسف، فرح الجميع في حين تجهم يوسف راضيًا بذلك العقاب قبل أن يعلم ما هو.

بعد أن انتهى الجميع من العشاء جلسوا حول والدهم ووالدتهم في غرفةالمعيشة،أخبر الأب يوسف بأن عقابه هو تحضير العصير والتحلية لأخوته، و إعداد فنجان من القهوة له، و الشاي المنكه بالتوت لوالدته، ذهب يوسف مُرغمًا ولكن بالرضى كما علمه والده أن لا يفعل أي عمل دون أن يرضى عنه وإلا فيرفضه، ولكن يوسف قال لنفسه:

-فهذا يهون في سبيل عدم حرق نهاية القصة، فهي متعة الدقائق التي ينتظرها كل شهر من أبيه في خضم الإعتقال الدراسي لمدة عامين في الثانوية العامة المفروض عليه، وكل طلاب القسم العلمى.

فلقد عودهم والدهم كل إجازة أن يقص عليهم قصة من قصص الجريمة البوليسية بحكم عمله في وزارة الداخلية، ويعلم جيدًا أن كل قصة تستحق المتابعة انتهى يوسف من تنفيذ ما وقع عليه من عقاب، وجلس عند قدمي والده وهو يرتشف القهوة وبدأ في سرد قصته من جديد، قص المقدم خالد قصته من البداية:

البداية

في محافظة أسوان وتحديدًا في وادي العلاقي الواقع جنوب أسوان، والذي ينبع من تلال البحر الأحمر إلى الساحل الشرقي لبحيرة ناصر وغرب نهر النيل في الطريق المؤدي إلى السودان، وأعلى الجبال حيث تشتهر بمناجم الذهب، والنحاس، والحديد، والمعادن المختلفة منذ عهد الأسرات الأولى المصرية القديمة، انتشرت سرًا جماعات من القبائل الساكنة للوادي للبحث عن الذهب بـ أجهزة كشف المعادن بحثًا عن الرزق في التبر فوق الجبل.

وفي منطقة منعزلة فوق قمة الجبل جلس أربعة من الأصدقاء تحت خيمة منصوبة على أعمدة خشبية بسيطة، ومن تحتهم الرمال الذهبية، ويُحيط بهم شوي حرارة الشمس ولفح صهد الجو الحارق.. تساقطت عن جباههم قطرات العرق لولا هبات الهواء لتم شيهم مثل الدجاج داخل تلك الخيمة البسيطة التي تحتوي على بعض مقومات ولوازم المعيشة البسيطة في الجبل من أدوات طهي، وموقد صغير، و جراكن مياه للتخزين، وبعض الأغذية المعلبة التي يقوم أحدهم كل أسبوع بالنزول إلى أقرب قرية، وإحضارها بجانب ما تناله أيديهم من صيد البحر الأحمر بجانب الجبل.

جمع بينهم التنقيب عن الذهب، و الأثار، و سمرة الوجه بتأثير الشمس الحارقة وأصولهم القبلية، فكان "عمار"، وعبد الرحمن" من قبيلة البشارية التي تسكن وادي العلاقي ذات الأصول الإفريقية والعربية، والتي تجمعهم لهجة و لغة خاصة غير منطوقة تسمى البشارية أو "البجا"، وهما من اكتشفوا المكان وبعد

ذلك انضم لهم، "محمود" من قبيلة العبابدة، والذي ينطق كل حروفه بالتعطيش مثل أبناء محافظة قنا، وهو وسيط في تجارة الآثار الغير شرعية المسروقة والذهب، والذي اتفق مع "سامي" الوحيد ذو البشرة البيضاء القادم من الإسكندرية، والذي يعمل فى شراء الآثار لما عرف بأهمية الموقع أحضر معه ما يلزم من أدوات وأغذية وتمويل كافٍ للحفر حتى استخراج الكنز، وأقام معهم في تلك الظروف القاسية عليه، وأسلوب معيشته المُغاير، ولكن في البحث عن الكنوز والآثار كل شيء جائز.

❀❀❀

ها قد مضى شهر كامل علينا في التنقيب، و الحفر في تلك المغارة التي زينتها بعض النقوش المصريةالقديمة..واكتسب سامي في ذلك الشهر معنا سمرة الوجه والذراعين فكان أشبه بالمهرج الذي يقوم بطلاء وجهه ويديه بالأصباغ البيضاء باستثناء أنه هنا، لقد تصبّغ وجهه وذراعيه بسمرة لن تزول إلا بعد شهور طويلة، جلسنا ذلك اليوم فرحين فها قد ظهرت البشارة للعمل، والحفر المتواصل ووجدنا ما يُشبه الباب الصخري المنقوش عليه رموز هيروغليفية فـ علمنا أننا اليوم على أعتاب استخراج الكنوز و أن نصير أغنياء.

كان ذلك اليوم أغرب يوم مر علينا منذ أن اجتمعنا للحفر فقد ظهر قط غريب أبيض اللون كالثلج لا يشوبه شعرة مختلطة من أي لون آخر، ومُخيف الهيئة رغم جمال لونه، ومظهره مع بداية ظهور البشاره، جلس بالقرب من الخيمة وهو يموء مواء كبكاء الأطفال مما جعلنا جميعًا في حالة رعب من ذلك الصوت الذي

لولا أننا رجال، ونشاهد القط بأعيننا لقلنا أنه طفل رضيع يبكي بجانب الخيمة، وقام كل منا بالصراخ والفرار من الرعب.

حاولنا جميعًا طرده بالصوت العالي، والصراخ ولكن ذلك القط المنحوس لم يتحرك بل ظل جالسًا في وضع القط الرابض المصري الشهير، ذلك القط من فصيلة "المِياو" القديمة أو كـ تمثال القطة باستت ربة المرح والغناء عند المصريين، ولكن ذلك المنحوس أشبه برب الخوف والفزع وليس المرح رغم جماله الآخاذ.

انتابتني فور مشاهدته قشعريرة باردة، ورجفة اعتصرت مؤخرة رأسي وسمعت صوت كصوت خرير المياه، وهي عائدة في خطوط إمداد المياه بعد الانقطاع،أو كحبات رمل داخل بالون العيد للأطفال لكن صدر ذلك الصوت من مؤخرة رأسي حتى أسفل عنقي.

كان سامي أول من علق قائلاً:

-أكيد اشتم رائحة صيد أمس الموضوع في الإناء داخل الخيمة فأتى بحثًا عن طعام دعونا منه، و لنكمل عملنا.

❀❀❀

تشجعنا جميعًا وتركنا ذلك المنحوس بعد أن تطيرنًا شرًا وخوفًا، رضينا بتبرير وفكر سامي، و استكملنا بالليل الحفر، وفتحنا الباب الصخري لنجد مقبرة رغم بساطتها، و صغرهاإلاأنها تحوي الكثير من القطع الذهبية، وتابوت مزخرف، وبعض التماثيل الجرانيتية، ووجدنا فوق التابوت بعض الجعارين الحامية على ضوء المصابيح فـ تفحصناها جيدًا ثم قمنا بفتح التابوت لـ نجده فارغ

إلا من بعض الحُلي الذهبية، والمشغولات، والتماثيل الصغيرة، والجعارين فوجدنا هناك أكثر من ٢٠ جعران بحجم ١ سم، و٢سم بألوان مختلفة بين الأزرق، والأصفر..

ذهبت سريعًا إلى الخيمة عدت ومعي ليمونة عصرتها عليها كما سمعت مؤخرًا بأنها سوف تتحرك، وتقفز، ولكن لم يحدث شيء، فقصصت على أصدقائي أني سمعت أن تلك الجعارين الصغيرة ستقفز لو عصرت عليها الليمون لنكتشف أن تلك كانت مجرد إشاعة، وعملية نصب واستغلال صدقها الكثير حتى أنا نفسي صدقتها حتى رأيت بعيني ذلك اليوم، إنها مجرد أكذوبة بالتجربة العملية.

جلسنا ليلتنا حتى ساعات الشروق، والفجر الأولى نحصي غنيمتنا والكنز الذي جمعناه مؤخرًا، لقد أصبحنا بين ليلة وضحاها من أغنياء مصر، وفي الصباح اكتشفنا أن الطعام أوشك على النفاذ والمال أيضًا، ويجب أن يذهب أحدنا لجلب المال اللازم ووسيلة النقل، لكي ننقل تلك الأثار والكنوز.

تجادلنا ذلك اليوم كثيرًا لم يُرد أحدُ منا أن يترك ذلك الكنز مع الآخرين، وبدأ يُسيطر علينا مشاعر اللصوص حين يشرعون في تقسيم الغنيمة من تخوين، شك، وتخطيط الغدر، كل فرد منا يملك سلاحه الخاص لتلك اللحظة، ووضع كل منا يده بجانبه ليطمئن أن السلاح في مكانه الخاص، صوت مواء ذلك القط من جديد أثار الرعب والشر في النفوس، جعل كل منا متحفز إلى أن قطع سامي تلك الدقائق الثقيلة.

❀❀❀

وصاح غاضبًا فقد رأى فينا عيون الشر والغدر

- يكفى هذا لن نغدر ببعضنا ونحن وصلنا إلى تلك اللحظة لقد أكل كل منا مع الآخر "عيش وملح" الحل الذي يجب أن يُرضي الجميع نحن أربعة كل اثنين منا يعرفون بعض جيدًا، فلا يجدي أن يبقى اثنين، ويذهب اثنين، أو يبقى ثلاثة ويذهب واحد فقط.

كي نقفل كل أبواب الغدر سوف أذهب إلى أقرب مدينة لإحضار المال من حسابي، ووسيلة النقل وسأترك صديقي "محمود" ليكون حارس على الكنز و ليأتي أحدكم معي ويبقى الآخر مع محمود وهكذا ستكون المعادلة متكافئة، فلا يوجد مكان للكثرة أو الغدر، تحدث عمار وعبد الرحمن بلهجتهم الخاصة لغة "البجا" حتى تكلم عبد الرحمن قائلًا:

- تمام موافق أنا هنزل معاك وهسيب عمار هنا مع محمود.

أكمل المقدم خالد بعد أن فرغ من ارتشاف آخر رشفة من فنجان قهوته.

تم ذلك سريعًا فذهب "سامي" مع "عبد الرحمن" إلى أسوان وأصبح كل من "عمار" و"محمود" يحرسان الكنز بعد مضيَّ أكثر من نصف النهار ضرب الجوع معدة الرفيقان.

فأخبر "عمار" "محمود" الذى كان يتولى مسؤولية الصيد بأن يُعد لهم الغداء ذهب الأخير إلى الخيمة أخرج الموقد والإناء الذي يحوي بعض الأسماك التي اصطادوها أمس، وتركوها في إناء متسع به ماء قائلًا لعمار:

- "اليوم هنتغدى زفر بما إنه آخر يوم يبقى نتغدى صوح السمك اللي صدناه

إمبارح احنا أولى بيه من القط الغريب اللي قارفنا من امبارح وشكله جه علشان السمك"، انتهى محمود من إعداد الوجبة وتحضيرها ثم بعد أن فرغ الأثنان من الأكل استلقيا تحت ظلال الخيمة بانتظار أصدقائهم أتى القط من حيث لا يدروا ليَجدوه أمام الخيمة ينظر لهم في صمت وهم في رعب منقطع النظير، ولكن لم يقدر أيًا منهم على النهوض مر النهار والليل.

وفي صباح اليوم الثاني أتى سامي مع عبد الرحمن ليجدوا الإثنين موتى وعلى وجوههم أثار الرعب والتشنجات، نظرا حولهم كثيرًا ليجدوا ذلك القط جالسًا مكانه فكان أول شئ قاموا بفعله هو أن ذهب كل منهم مسرعًا ليرى الكنز، ويطمئن عليه ليجده قد اختفى، عاد سامي إلى الجثتين وبحث في كل مكان لم يجد شئ مطلقًا، وصاح بانفعال، و بـ سِباب ساخط لاعنًا عبد الرحمن ويتهمه بالخيانة وأن له مساعدين، فأخرج كل منهما سلاحه واطلقوا النار كل منهم على الآخر.

ليخرا الإثنين جثتين هامدتين أمام الخيمة وصديقاهم بداخلها، والقط مكانه جالس صامت.

❀❀❀

في الأسفل بعد أن لم يتلق السائق أى رد، أو خبر من سامي الذي ذهب ولم يعد، ثم سمع دوي إطلاق النار أعلى الجبل قام بإبلاغ الشرطة فورًا، وهناك انتقلت مجموعة على الفور إلى مكان الحادث كنت أنا على رأسها أقود عدة أفراد من قوات الأمن المركزي، وبعض الرتب الأدنى مني وخبير الطب الجنائي، كنت حينها ما زلت برتبة الرائد، وقد ترقيت بعد هذه الحادثة إلى رتبة مقدم.

قاطع يوسف والده قائلاً:

- لقد أدركت الحل ذلك القط هو الجني الحارس للمقبرة، وقتل الاثنين لما سرقاه لقد اكتشفت الحل أبي.

.. فصاح أخوته في غضب..

- أنت الآن من تكشف الأوراق وتحرق القصة اصمت، ولا تتحدث.

ضحك المقدم خالد وزوجته لتهور، وفضول ابنهم، ولـ علمهم مسبقًا بالحلّ فأكمل المقدم خالد قائلًا:

-اصبر واسمع ليس هذا هو الحل أو النهايه ثم أردف قائلًا:

كنت أول الصاعدين أمرت القوات بأن يظل كلٌ في مكانه ثم، تقدمت لمعاينة الجريمة في تلك الخيمة، ومحتوياتها من ماء ومعلبات غذائية، وبعض بقايا سمك البحر والأشواك بجانب الخيمة رأس سمكةأشبه برأس سمك القرموط النيلي، ولكن لها أسنان مثل الأرنب وأشواك بجانبهم قط أبيض كالثلج صامت لا يتحرك له هيئة غريبة تُثير الفزع للعامة رُغم جماله..

تحركت مرة أخرى خلف الخيمة لأجد المعلبات الفارغة جمعت في مكان به علب التونة، والجُبن الفارغة وباقي المخلفات بجانب أكوام أخرى من المخلفات المحروقة في هيئة أكوام بجانب بعضها تلك كانت آخر مخلفاتهم الغير محروقة..

مرةأخرى ذهبت إلى المغارة القريبة لأجد المقبرة الفارغة إلا من تابوت خشبي مُزين بالنقوش الهيروغليفية، وبعض الصناديق الفارغة، ولم أجد أي آثار لها قيمة، داخل المقبرة آثارأقدام أربعة أشخاص مختلفة، نفس الآثار للأقدام

داخـل وخـارج الخيمـة، فلـم يـأت أي شـخص غريـب إلى هـذا المكـان باسـتثناء آثارأقدامي الحديثة.

تحركت مرة أخرى لمعاينة الجثث لأجد اثنين منهم في مقابل بعض، وبيد كل منهم سلاح قد أطلقوا النار على بعضهم، وداخل الخيمة وأنا أرتدي قفاز وجدت جثتين أحدهم تتسع حدقة عينه في وضع تصلب وبجانبه قيء والأخر بجانبه متشنج، وله نفس الوضع تقريبًا ولكن حدقة العين منكمشة ضيقة، أخرجت محافظ الأربعة، تطلعت إلى هوياتهم الشخصية ووجوههم ثم أخذت عينات من الأدلة، وأمرت المصور الجنائي، والطبيب بالشروع في عملهم.

كان ثاني من عاين المكان المصور الجنائي، وهو يلتقط صور كل شيء وتبعه دكتـور الطـب الجنـائي ثـم انتـشر المجنـدون بعـد أن أمـرت بعـضهم بنقـل بـاقي محتويات المقبرة الفارغة إلى أسفل، وأمرت الآخرين بنقل الجثث بعد أن عاينها الطب الجنائي، ووضعهم في أكياس الموتى ونقلهم إلى سيارة الإسعاف تحضيرًا لنقلهم إلى المشرحة لتشريحها ومعرفة أسباب وفاة الإثنين الآخرين، واستخراج تصاريح الدفن.

وبقيت مع قوة صغيرة ساعة أخرى أحاول معرفة ما حدث، لحل لغز تلك الجريمة الغامضة، تناسيت تمامًا ذاك القط الجالس بجانب الخيمة الذي لم يتحرك وقدأثار فضولي أكثر من فزعي نظرت إليه جيدًا، ونظرت إلى الخيمة مرة أخرى أخذت انتقل بنظري بين الخيمة والقط وعقلي يحاول اكتشاف تفاصيل ما حدث ف الواضح أنها خيانة، واختلاف على الغنيمة كما هو دارج و معهود في نوعية تلك

الجرائم بين المنقبين ولصوص الآثار من جشع، غدر، قتل، ووشاية بشركائهم بعد اكتشاف الذهب و الفرحة التي دائمًا ما تجعل الشيطان يوسوس لهم كي يغدرون ببعضهم البعض.

لم أغادر الموقع عازمًا أن أكتشف من الأدلة والشواهد على ما حدث، فبحكم سنين خبرتي في هذا العمل شاهدت وحللت معظم الجرائم المنتشرة في تلك المنطقة من الصعيد بعد تعلمي طباع أهلها وطريقة تفكيرهم، ولكن تلك أول مرة أشاهد جريمة متكاملة بلا حل وغامضة بهذا الشكل.

أمرت بعض المجندين بأن يجلب من القوة المرافقة بالأسفل بعض الغذاء وتوزيعه على زملائهم و أن يحضروا لي مشروب ساخن، وبعد رحيل سيارة الإسعاف ومرور ثلاث ساعات على صعودنا هنا تلقيت اتصال من الضابط المكلف بنقل الجثث حين وصلوا إلى مديرية الأمن تفيد بأن إحدى الجثث مفقودة.

أخبرتهم بأن لا تقلقوا فقد عرفت من هو وكيف حدث كل هذا، وأين سوف يذهب، فقد حللت اللغز الغامض و سوف انتظره لأقبض عليه بنفسي، وانتظرت في الخيمة بعد أن أمرت القوة الباقية بأن تكمن وتختفي في المكان، و المغارة بانتظار إشارتي وصُنع الكمين، والإطباق على المجرم، انتظرت تلك الساعات وأنا على أحر من الجمر لأرى المجرم والتمعن في تعابير وجهه حين يُفاجأ بأن جريمته العبقرية قد فشلت، وتم حلها، ويراني أمامه.

-حل المساء.

انتظرته تلك الليلة وفوق قمة الجبل أمام تلك المقبرة المنهوبة في الظلام الذي

لا يُنيره سوى ضوء خافت من أخر هلال الشهر العربي الذي أوشك على أن يصير مُحاق، وصوت بومة قريبة تنعَب في رتابة كل خمس دقائق..

لقد علمت هذا... ها هو شبح الرجل قادمًا يغلفه الظلام وصوت خطواته تعلو مع صوت لهاثه، وعندما اقترب أشعلت ضوء المصباح اليدوي في وجهه شاهرًا سلاحي الميري الطبنجة ٩ مللى هاتفًا به:

- ولا حركة اثبت محلك، وإلا أطلقت عليك الرصاص.؟

سقط قلبه بين قدميه من الدهشة قائلًا:

- كيف علمت بخطتي كيف؟!؟ وهو يكاد يصرخ باكيًا.

لأجيبه:

- لا توجد جريمة كاملة يا "محمود" فبعد أن خططت الغدر بمن معك قمت بإخفاء ما وجدتم جيدًا من آثار، وكنوز حتى أنني لم اكتشف أين هي؟! ولكن أغفلت أن تُخفى أثر مهم وهو رأس سمكة القراض "الأرنب" أو ما يدعوه العامة "سمك النفيخة".

رد "محمود" في ذهول:

ولكن أخبرني كيف عرِفت؟ ولماذا انتظرت؟ كيف هذا، وهو مجرد سمك، وطعامٌ عادي كيف.؟!

-لا تستبق الأحداث سأخبرك لاحقًا.

أمر الرائد "خالد" العسكر بأن تقيده بالأصفاد ثم أجبره بأن يكشف عن

مكان الكنوز التي أخفاها، ثم قام بـ تحريزه، واقتاده نازلًا إلى القوة الكامنة على مسافة قريبة منه، ومن ثم إلى المديرية، وأثناء التحقيق بعد أن سرد تفاصيل قصته كاملة، أجابه الرائد خالد:

- حين عاينتك رغم أنك كنت أشبه بجثة، وجدت حدقة عينك متسعة أشبه بمن تعرض لأزمة قلبية،أو تناول كمية مفرطة من المخدرات ولكن مازالت بها لمحة من حياة، وإن لم اكتشفها فورًا، أو يكتشفها الطبيب لم أطل التفكير فى ذلك الدليل حقيقةً، ولكن الشيء المثير للفضول جثتين بدون أي أثر للقتل، أو الخنق، أو الضرب.

علمت أنه تم تسميمه ولكن كيف ومتى؟!

لم أعلم يقينًا حتى صدور تقرير التشريح أما الدليل الثاني القط الذي يجلس بجانب بقايا السمك دون أن يلتهمه أثار فضولي ومع تذكري حدقة عينيك، وتفحصت بقايا السمك..

علمت أنه سمك القراض إحدى فصائل سمك الفوجو الشهيرة و السام الذي يحتوي على سم" تيدرودوتاكسين" تذكرت ذلك المقال الياباني عن سمك الفوجو الذي قرأته في إحدى إجازاتي عن أنه له أنواع عديدة تبلغ أكثر من ٢٨ نوع، وأن تناول سمك الفوجو يُشبه رقصة مع الموت..

وعلى الرغم من خطورة هذه السمكة وسمعتها السيئة فإن تاريخ استهلاكها في اليابان كطعام شهي يرجع إلى ٢٣٠٠ عام حيث وجدت كتابات ورسومات لها في المخطوطات اليابانية القديمة ومنذ قرون، وهي تعتبر من أشهى الأغذية

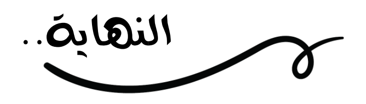
المعروفة في اليابان حيث أن طهاة مهرة مدربين تدريبًا خاصًا، ينظفون ويحضرون السمك بعناية فائقة، ويخلصها من الأعضاء الداخلية السامة، والصياد المحترف يعرف شكلها وتكوينها.

علمت أنك صياد ماهر، وخبير فقد اصطدت بالمصادفة أو خدمك الحظ سمكة القراض المنتشر بجانب الجبل في البحر الأحمر، والتي تنتشر أيضًا في البحر الأبيض، وبعض أنواعها النيلية، وأنك أبقيت عليها للحظة النهاية لتسميم وقتل الجميع، و لتنجو بفعلتك..

ولكن بعد أن قلت جانبك من القصة علمت أنك قمت بتناول جرعة صغيرة منه، فتسبب لك بشلل الموت، ولكن كان وعيك حاضرًا في حين أن صديقك أكل كمية لا بأس بها، وانتظرت كالميت لحين عودة الغائبين، وانصرافهم لكي تنال الكنز وحدك.

أنهى الرائد خالد حديثه ثم أمر بإغلاق المحضر و اقتياده إلى الحجز لحين تحويله إلى المحاكمة، وانتهت الحادثة بترقية الرائد خالد إلى رتبة مقدم.

ثم أنهى القصة التي يرويها لأبنائه، وهو يرى علامات الدهشة والإعجاب على وجوه أبنائه الذين رغبوا في معرفة المزيد عن سمك الفوجو، وقصته باليابان كما تشوقوا لمعرفة المزيد عن القُراض في مصر، وما هي تفاصيل هذا الكائن؟! الذي لابد وأن يسمى بـ "سمكة الموت " ولكن قال لهم والدهم أن هذا حديث وقصة أخرى سوف يقصها عليهم بالغد.



نبوءة
جيش حورس

استمتع الجميع بتلك القصة البوليسية، والجريمة التي حكاها القط الأبيض ثم ضربت القرعة مرة أخرى،

فكانت تلك المرة من نصيب الزهرة، المرأة الجميلة التي تبدو كالساحرة، وكان الجميع ينظر إليها في فتنة، وإعجاب بهيئتها، و بعزفها وجمال وجهها الغض جميلة الجميلات فري.. أقصد " عزة" عازفة الناي.

بعد دقائق من عزفها مقطوعة مصرية قديمة، بدأت في سرد قصتها بلا مقدمات قائلة:




H Y B R I D G O T H I C A



نبوءة

جيش حورس

ارتفع البدر عاليًا ناشرًا ضيائه المشوب بـ اصفرار خفيف في تلك الليلة وفي حديقة المنزل الخاصة بـ معلمة الفنون والموسيقى للمرحلة الإبتدائية "عزة " تلك المَرأة الفاتنة صاحبة الذوق الرفيع والرائعة، والتي تمتلك حديقة خاصة مليئة بكل أنواع الزهور الجميلة، وبها زهور اللوتس التي تم استيرادها خصيصا لها.

جلست مجموعة من الأصدقاء عددهم سبعة في دائرة حولها وهي تجلس في منتصفها تعزف على الناي في نغمات مصرية قديمة، والجمع من حولها مُتشابك الأيدي، و يصدرون صوتًا جماعيًا أشبه بمنطوق الحروف "حُوووو" ممدودة مع النغم في تكرار مستمر حتى فرغت عزة من العزف والإنشاد.

وقفت " عزة " تخطُب بهم وتقول:

- مرت خمسة أعوام يا جيش "حور" الذهبي "حورس" مرت خمسة أعوام يا من ستحيون الوعي، والمجد الكيميتي القديم، خمسة أعوام منذ النبؤة التي أرسلتها إلينا أمُنا الكبيرة "عيزة" التي اصطلح عليها الناس بالخطأ بإسم "ايست/ إيزيس" زوجة الأب والزوج عُزير..

" اوزير_ اوزوريس"

فرد الجميع من حولها:

أوزير آنستي.

اليثوس آنستي.

ثم رددوا مرة أخرى باللغة العربية ما قالوا:

قام عُزير .

بالحق قام.

مرت دقائق على "عزة " وهي تسترجع شريط ذاكرتها لمدة خمسة أعوام مضت في صمت، ثم بدأت تحكي للجالسين حولها كيف بدأ ذلك الأمر كله:

بعد أن ملَّت وضاقت ذرعًا بالإلتزام، والدين، وأصحاب الحجاب من النساء فخرجت عن الإسلام، و أي ديانة إبراهيمية، ووجدت ضالتها في التاريخ حيث ذلك اليوم حين كانت في زيارة هضبة الأهرام في الجيزة، وعندما كانت في لحظة تأمل وصفاء..

إذا بها ترى تحت سفح الهرم أُنثى جميلة تفرد يديها في استقبالها تنوي احتضانها، والغريب ما كانت تلبسه فقد كانت تلبس تاج أشبه بدرجات السلم من الذهب، و ترتدي فوق ذراعيها جناحين من الريش، ظلت تحدق وتستغرب ما تشاهد في ذهول، ثم أغمضت عينيها وفتحتهم مرة أخرى لـ تختفي في طرفة عين..

وتعود هي إلى البيت وفي اليوم التالي تبحث عنها لتعرف أنها "إيزيس" ثم تعرف أن اسمها القديم الكيميتي هو "إيست"، و لتُدرك بعدها معاني الأسماء، وتأخذ برأي صديق لها أن ترجمة "إيست" هي "إيزة"أو "عيزة" ويا للصدفة الغريبة، فهو يكاد يكون نفس الإسم الشخصي لها فكانت تلك الإشارة هي البداية.

بحثت عن الجن التي لا تؤمن به إطلاقًا، فلم تجد جوابا شافيًا ثم درست

وقرأت بعض كتب اليوجا، وكتب الطاقة الروحية، والتأمل، وبعض النظريات، عرفت بعد ذلك أنها كائن إلهي "نثرت" مصرية تعمقت في التاريخ و الحضارة المصرية، واعتنقت الديانة الكيميتية، وعبدت كل الآلهة المصرية، واعتقدت أنها كلها تجسُدات الإله الواحد، وأن الإسلام والمسيحية سرقوا ديانتهم من الحضارة، و الديانة الكيميتية .

كانت تعتقد أن المسيحية أخذت الثالوث من ثالوث إيزيس، وأوزوريس، وحورس.

والإسلام أخذ قصة البراق من كائن أبو الهول المجنح رغم أنها شُبهات ضعيفة، ولكن ترسخت بذهنها وأصرت عليها.

ثم أتت الإشارة الثانية حين رأت صقر يتبعها في كل مكان الصقر "حورس" ورأت في إحدى لياليها بحديقتها سحابة تشكل مع القمر عين حورس، لتدرك ساعتها أنها هي المختارة لإحياء المجد والوعي القديم مرة أخرى.

أتت الرؤية التبشيرية الأولى بعد أسبوع من تلك الإشارات المتتالية حيث حلمت بأنها في نفس المكان تحت سفح الهرم، لتجد "تحوت / جحوتى" مع أنوبيس يقفون أمام أبواب مدينة تحت الأرض وتحيط بكل منهم هالة براقة بأشعة ذهبية، وكل منهم يقوم بفرز كل من يتقدم من البشر الواقفين في صفين أمامهم، فمن يجدوا على جبهته عين حورس يقوموا بإدخاله، ومن لم يجدوا وشم العين عليه يقوموا بطرده وعندما أتى دوري وتقدمت انحنوا أمامي.

وهم يرددون:

- أهلًا بالمبشرة، صاحبةالوحي، والنبوءة، مرحبًا بمن ستحكم عرش "كيميت" مع "النترو" ملكة جيش الجميلات وبنات "أون" المقدسات يا من سوف تحرر"خانوم"، وتُعيدي عباده آمنين مرة أخرى.

صمتت "عزة" عن الحديث برهة فردد الجميع من حولها في شبه آلية.

عنخ و جا سنب "عزة".

دوا حور دوا أوزير دوا إيست دوا عزة.

"فلتحيا وتعيش في سلام وازدهار".

"التحيات لك يا حور التحيات لك يا عُزير التحيات لك يا أمنا عيزة .

التحيات لك يابنت "أون" وصاحبة النبوءة "عزة"

أغمضت عزه عينيها وفتحت ذراعيها قائله:

- لقد جمعتكم اليوم لأخبركم بحديث جلل في غاية الأهمية فقد أوحت إليّ أمنا "عيزة" برؤية ولما تأملت في صفاء ذهني ألهمني العزيز "أوزير" بالتفسير ببركة "حورس" المتابع لكل خطواتي والحامي الخاص بي من قوة الشر، فقد أتتني الرؤية حيث وجدت نفسي جالسة فوق قمة الهرم الأكبر وهناك عرشي، وبيدي صولجان "سخمت اللبؤة "، ورأيت النيل قد جف وأصبح أخدود يقسم مصر طولًا وعرضًا إلى أربع مناطق:

شرقية، وغربية، جنوب، وشمال.

ورأيت أنه قد ازدهر الصعيد بالمعابد، وأصبح الشمال، والدلتاصحراء لا يوجد بها شئ مقام على وجه الأرض سوى الأهرام الثلاثة.

قال أحد الجالسين حولها:

- وما كان التفسير يا ملكة جميلات "كيميت"؟

ردت "عزة"

- تفسير الرؤية و النبوءة أنه:

سوف تعود مرةأخرى الهوية الكيميتية عندما تكون قبلتنا الأولى والأخيرة هي: الأهرامات الكيميتية، ومعابد الصعيد، ولكن بعد فترة فوضى خراب، و دمار، واستباحة الدم، و العرض.

ثورة قاسمة في مصر تغير الواقع وتهز أسس المجتمع وتقسمه، ونهاية ثقافة البدو و الديانات الإبراهيمية، وسطوة رجال الدين ستكون بداية فتنة، وحرب بين السُنة والشيعة تقضي عليهم معًا، بالإضافة إلى أزمة في منطقة الشرق الأوسط يكون السبب بها أحد حكام مصر، وبداية نهضة الكينونة الكيميتية المصرية والوعي الكيميتي.

بعد نهاية السواد الذي سيكون تحت سيطرة "أبوفيس" على نهر النيل، والخراب في ربوع البلاد وتقسيمها إلى أربع مناطق شرق، وغرب، وجنوب، وشمال، سيكون مُلكنا من الشمال، وسيظهر ملك آخر من الصعيد في معابد الأجداد، و ستشتعل حرب الوعي بقيادتنا جيش "حورس" الذهبي تحت سيطرة جميلات " أون "، بعد حرب طاحنة سوف تستمر خمس أعوام أخرى، بعد الثورة

التي ستهز مصر سيتوحد الجنوب، والشمال مرة أخرى بعد إبادة كل مظهر بدوي أو حكم لدين آخر ستنهض الكينونة، والوعي الكيميتي مرة أخرى وستكون قِبلتنا الهرم حين يشرق من خلفه "رع، يتربع على قمته، ثم تابعت عزة في نغمة إنشاد والجمع من حولها يرددون ما تقول:

- **أوزير أنستي.**
- **أليثوس أنستي.**
- **قام أوزير حقا قام.**
- **دوا رع.**
- **دوا كيميت.**
- **يحيا رع تحيا مصر .**

ثم دارت على كل الجالسين، وهي تلتقط ريشة نعام مع زهرة لوتس وتمس جبهة، و رأس كل منهم بالدور حتى أتمت الدائرة المكونة من أقرب التابعين لها، وهم سبعة من أصدقائها المؤمنين بفكرها، والتي تلقبهم بقادة جيش حور"حورس" الذهبى، والعاشقين للتاريخ، والماضي لدرجة العبادة، ويتبعون العقيدة القديمة لمصر.

- **فالقائد الاول:**

صديقها "خالد" خريج معهد الخدمة الاجتماعية.

-القائد الثانى:

الدكتور" سيد" رغم أنها لا تعلم ما نوع درجة الدكتوراة الحاصل عليها وفي

أي مجال، وغالبًا هو مجرد لقب يُطلقه على نفسه حتى أنها لا تعلم مجال دراسته سوى أنه عاشق للحضارة، والتاريخ مثلها.

-القائد الثالث:

الأستاذ الدكتور "أندرو" خريج طب النساء والتوليد والباحث في علم المصريات، صاحب المؤلفات العديدة.

- القائد الرابع:

"لوقا "الصحفي خريج كلية الصحافة والإعلام.

- القائد الخامس:

"مي" خريجة كلية التجارة، والتي تعمل في شركة سياحة، وسفريات بشرم الشيخ.

-القائد السادس:

"أندي" خريجة كلية الآداب، و فتاة عصرية جدًا تعشق الميتال، و الجويثك ستايل مثل عشقها للتاريخ، والماضي.

- القائد السابع:

"ديفيد" يهودي مصري مقيم في مصر، خريج هندسة، ويمتلك شركة هندسية خاصة به.

قالت لهم جميعًا فلنُرتل إلى الأم الكونية، وبوابة الكون في مصر وتمجيدها:

الام"عيزة" ايست "إيزيس"

ترتيلة تمجيد عيزة " إيزيس"

"أنا أم الأشياء جميعها سيدة العناصر وبادئة العوالم حاكمة ما في السماوات من فوق، وما في العالم السفلي من تحت، مركز القوة الربانية أنا الحقيقة الكامنة وراء الآلهة والإلاهات فهم عندي يجتمعون في شكل واحد ، وهيئة واحدة بيدي أقدار أجرام السماء وريح البحر ، وصمت العالم السُفلي، يعبُدني العالم بطرق شتّى، وتحت أسماء شتّى أما اسمي الحقيقي فهو عيزة "إيست-إيزيس"، به توجَّهوا إليَّ بالدعاء.

(أنا ما كان، وما هو كائن، وما سيكون، وما من إنسان قادرعلى رفع ستاري).

بعد أن انتهى الجميع من ترديد ترتيلة عيزة "إيزيس" خلف الكاهنة "عزة" منحت الأخرى الجميع بركاتها وجلسوا حتى أشرقت الشمس في أول ضوء للنهار قاموا بترديد تلاوة، وصلاة قديمة ثم سجدوا للشمس، وهم يقومون بحركات بأيديهم مثل حركات علامة الكا برفع الذراعين بجانب الرأس، وثني الكفين إلى الخارج.

استمروا في ممارسة اليوجا، وحركات التعبد الخاصة بهم، وجماعتهم الصغيرة التي يقود كل فرد منهم الألاف من التابعين، حتى أحست "عزة " بحرارة ولفح أشعة الشمس، وسخونتها كادت أن تُذيب جسدها، وخاصة مؤخرتها، وهي تقول لأتباعها أن "رع" غاضب.!

دقائق مرت لتجد عزة نفسها فوق سريرها تنام على بطنها بدون غطاء يسترها، وأشعة الشمس القادمة من النافذة قد لفحت كامل جسدها حتى احمر لونه.

لتصحو من كابوس ثقيل أضاع عليها الصباح بالكامل حتى الظهر وتكتشف أن كل ما فات مجرد حلم لعين طويل، وممتع في نفس الوقت بالنسبة لها بسبب عشقها هي وشلتها للآثار حد الجنون، والتاريخ، والوعي الكيميتي القديم، فتمنت بعد أن أفاقت ليته حقيقة وواقع..!

نهضت وارتدت ملابسها، ونظرت من نافذة غرفتها لترى قرص الشمس، وقد أحاطت به غيمة، فأصبح القرص مثل حدقة العين والسحاب شكل من حوله باقي هيئة العين، فصاحت في فرح:

- إنها حقيقة إنها حقيقة..أنا المختاااااااااارة نبية هذا الزمان، واتصلت بشلتها ليجتمعوا ليلًابحديقة منزلها في جلسة خاصة بهم، لتخبرهم السر العظيم وتكشف لهم عن النبوءة"نبؤه جيش حورس القادم ".

النهاية..



لا جميل يكتمل بعد ضرب القرعة مرة أخرى، أتى الدور على تلك المخلوقة المتحولة فارتعدت فرائصي لمنظرها كدت أن ألوذ بالفرار في حين قفز القطان والحمار مُغادرين فعلوا ما لم أستطع فعله من الرعب لقد تخلت عن طاعتي قدماي، زمجرت المتحولة وزأرت كالأسود مما دفع الجميع للنهوض من مجلسهم ومحاولة الفرار ، فصرخت بأعلى صوتها قائلة في صراخ هادر :

- من يغادر قبل أن يسمع قصتي سيكون دمائه شرابي الليلة، ليعود الجميع إلى مجلسهم فورًا بما فيهم القطان.

عاد الجميع بالفعل كل منهم إلى مجلسه وتحلقوا حولها يستمعون لقصتها وهي تقول:





بيت العمدة

سه"سخمت"اح سيدة الدماء

إعادة صياغة الميثولوجيا المصرية القديمة

في زمن السحر الأول والأعاجيب حيث لم يكن أحد يحيا على أرض مصر، أتت العائلة الأولى التي استقرت هناك..تلك العائلة التي جمعت أسرار السحر القديم وعلومه وكيفية ممارسته، وظلت تلك التعاليم، والأسرار القديمة تتناقل بين الأجيال جيلًا فجيلًا، وظلت تلك الأعاجيب علمًا موروثًا في تلك العائلة، حتى وصلت إلى ذلك الجيل، و العمده "رحيم"، ففي قرية ما في مجاهل وأغوار صعيد مصر في فترة الإقطاع أيام الملكية الأولى، والعزب كان يحكم ويملك القرية، أو" العزبة" في تلك الفترة كما يطلق عليها أهلها العمدة "رحيم" صاحب البيت الكبير، و الدوار الوحيد في العزبة وحيدًا منفردًا.

فلم يتزوج أو ينجب أطفالًا بعد، ومازال شابًا يقيم عاكفًا بين كتبه وأسراره الموروثة من أجيال عائلته الأولى، شعر بالوحدة تطبق عليه من كل جانب ولكن لم يستطع أن يجد الزوجة المناسبة فقد كان يشعر بأنه من نسل الآلهة وأنه الإله على الأرض فـ لا يجوز له أن يتزوج من البشر الفانين ورغم ذلك شعر بالحنين إلى أن يجلب ذرية تكون ورثته، وورثة علومه، وقوته القديمة، لم يطل فكره كثيراً حتى ركن إلى علوم السحر الأولى، ووقع اختياره على ثلاثة كائنات قديمة في صورها الحيوانية الحية الآن فاختار البقرة المقربة إلى قلبه العطوفة تلك اللبوءة الشرسة التي تزين ديوان الدوار وترهب كل من يدخله من الزوار ثم تلك القطة المصرية

الأصيلة التي تنتمي إلى فصيلة "مياو" المصرية القديمة النادرة ثم قام باستحضار سحره القديم وخلع عليهم صفات، وأشكال آدمية، ويجعل لهم قوة خاصة أشبه بقوة الكيانات القديمة التي عُبدت في الماضي، والذي يعتقد أنه من نسلها.

فتحولت البقرة إلى "حورية"والتي أطلق عليها أهل القرية لقب الأم الحنونة فيما بعد، واللبوءة تحولت إلى "سماح" والتى كانت على النقيض تمامًا من معنى اسمها حتى أطلق عليها أهل القرية "سماح القوية، الشرسة، والشامخة"، و القطة التي هي الصغرى تحولت إلى "بهية" والتي عشقت الموسيقى والحفلات رغم أن الموسيقى لم تكن معروفة إلى أهل القرية في ذلك الوقت، إلا أنها كانت الأولى التي أدخلت إلى عقولهم ووعيهم معنى الموسيقى، والحفلات، والمتعة حتى أطلقوا عليها "بهية الطلة الجميلة".

تعلق الأخوة الثلاثة بالأب "رحيم" الذي كان يلقب نفسه بملك الأرض، إله زمانه، وأن بناته سيصبحن ورثته وإلهات لأهل مصر، وأنهم يُعبدون منذ القديم فاستحضر روح "حتحور"في جسد "حورية" وروح "سخمت" فى جسد "سماح" وروح "باستت" في جسد " بهية "، و بالرغم من اختلاف الثلاث كائنات المتحولة في الطباع إلا أنهم جميعًا اتصفوا بصفة واحدة هي العدل وتنفيذه، وكرههم الشديد للشر، والفساد، والظلم.

فكانوا على خلاف مع أبيهم الذي يملك الأرض كلها إلا أنهم خصصوا لكل مزارع في العزبة قطعة أرض يستفيد منها بالكامل، وبدون مقابل، ولكن ستظل ملكيتها لعائلة العمدة الحاكم رحيم وأبنائه، ولكن من حق كل فلاح أن

يجني خير الأرض التي يشقى، ويكد، ويسقيها بعرقه، بالإضافة لمن لا يملك المال الكافي لرعاية أرضه الخاصة كان يعمل لهم فى الأرض الخاصة بهم كأجير.

❀❀❀

برعت حورية في تنظيم شؤون الأسرة والبيت ورعاية الجميع واشتهرت بالحنان وإسباغ الرعاية ليس فقط على الدوار، ولكن على كل اهالى العزبة فأصبحت السيدة المربية الأولى في كل أنحاء العزبة والمعلمة لكل نساء القرية كيفية إدارة شؤون بيوتهن، في حين برعت بهية في المرح وإدخال السرور وإسعاد كل من بالبيت وتعليم أهالي العزبة والزوجات كيفية إسعاد أزواجهم وأبنائهم، وجعل الحياة في نعمة، وبركة من السعادة والبهجة، أما "سماح" فكانت الأولى التى تجيد فن الطب وبرعت أيضًا في دراسة الأوبئة والأمراض، واكتشاف العلاج لكل داء جديد رغم براعتها في الطب، كانت أيضًا سيدة مقاتلة تعشق القتال بالرجوع إلى طبيعتها الحيوانية المفترسة، وبرعت في المبارزة، وابتكرت أسلوب قتالي رائع وقوي حتى أن أهل القرية كانوا فى رعب مقيم وخوف بمجرد التفكير فقط في إغضابها.

❀❀❀

بعد مرور ٥ خمسةأعوام على التحول..وفي ذلك الصيف الملتهب وعند بدء موسم حصاد القمح، أتى رسول من المدن الشمالية، ومعه حملة عسكرية، وقافلة تطلب من أهالي العزبة الخضوع، وتسليم جزية من نصف حصادهم، أو يتلقون العقاب والتأديب من الجنود إن لم يمتثلوا للأوامر، ارتبك أهل العزبة هاجوا، وماجوا، فهم لم يكونوا أبدًا محاربين كانوا مجرد فلاحين يعيشون على جني أيديهم

من خير الأرض التي يمتلكونها، وكانوا يعيشوا في انعزال وسلام إلى ذلك اليوم، فأرسلوا إلى العمدة وبناته يطلبون النجدة.

جمع العمدة "رحيم " بناته الثلاثة وخاطبهم محدثًا:

- اسمعوا فتياتي الأعزاء،أهالي العزبة يشتكون ويتضرعون لنا كي نحميهم من غدر قادم من الشمال، واعتداء غير عادل وأردت أن يكون الرأي شورى فما هو رأيكم؟!

أجابت حورية "الحتحورية":

- أبي فلتأتي بأحد الرسل القادم من الشمال تُكرمه، وتفاوضه لعله يرحل في سلام وتُهديه بعض من حصادنا لعل ملوك الشمال ترضى بالسلام، ولا داعي للقتال، ووافقت على رأيها بهية "البوباستية "، في حين هاجت سماح "السخمتية " وكشرت عن أنيابها بزمجرة كادت أن تتحول على أثرها إلى هيئتها الحيوانية " لبوءة " ثائرة بملامحها التي تشبه إلى حد كبير حيوان مفترس.

مما أجبر الجميع على الصمت حتى أن مرسال أهل العزبة التي هي من أهلها كاد يموت فزعًا ويفر بجلده من الخوف والرعب، فـ كانوا يتطيَّرون من غضب سماح وشراستها، ثم قالت في غضب:

- نحن أبناء الصعيد أبناء العز، والمجد، والكبرياء، ومن أرضنا خرج ملوك، وعلماء مصر منذ القدم، حتى الآن أرضنا أرض الخير والبركة، نعطي ونجود على من نشاء بغير تهديد، أو خوف نحب العدل، و نمقت الظلم، والاعتداء، المعتدي ليس له سوى السيف وضرب الأعناق وليس المهادنة والخضوع إن كنتم لا

تدركون كيف تدافعون عن أرضنا وشرفنا، وعرضنا؟!

- فأنا "سماح" الفتاة القوية من ستقف لتلك الحملة وتتصدى لها وتبيدها.

غادرت سماح المجلس وهي غاضبة، وارتدت ثوبها الأبيض التي ترتديه في المناسبات السعيدة، وكانت المعارك والقتال هي أنسب بل أسعد المناسبات إلى قلبها التي نادرًا ما تتكرر.

تقلدت سيف أبيها ومنحها بركته، و تأييده، ومن خلفها إخوتها يحيُّوها لـ إدراكهم قوتها وقدرتها التي تفوق الجيوش والحملات مجتمعة.

خرجت سماح وما لبثت أن لاقت الحملة حتى تحولت إلى أنثى أسد ثائرة، صيادة ماهرة، وأنثى مقاتلة، وأعملت في الحملة الذبح والقتل، وهي تدهس الجثث، وتحطم الرؤوس تحت مخالبها، وبين أنيابها المشرعة كالحراب.

حتى كادت أن تنهي على الحملة بأكملها وسط مشاهدة أهل العزبة ورعبهم فتحولت سماح وسط جنود الشمال إلى "سخمت" "اللبوءة" الشرسة وسط مجموعة من الحُمر الوحشية تفترس وتمزق في صفوفهم بلا أيمقاومة سوى فرار الحُمر من أمامها، ورعبهم من أنيابها ومخالبها حتى أبادتهم إلا نفر قليل منهم..

انقضى اليوم وفر ما تبقى من جنود الحملة واستطاع العودة إلى الشمال وعادت سماح وسط أهالي العزبة الذين يمدحون في قوتها وشراستها إلى الدوار وثوبها قد لُطخ بدماء القتلى حتى أصبح بأكمله باللون الأحمر، واكتسبت لقبًا جديدًا من أهل القرية الذين اطلقوا عليها:

"السفاحة"، "سيدة الذبح"، و "مُلطخة الحقول بالدماء في ساحة المعارك".

أصبح الجميع ينحني أمامها في خضوعٍ، وخوف كلما مرت من أمامهم ولم يُساورهم الشك في أنها ستكون العمده القادم بعد أبيها وحامية الصعيد بأكمله.

عـم الفـرح في أنحـاء العزبـة، وشـمل جميـع أهلهـا بعـد الانتـصار وكانـت "حورية"، و "بهية "تقومان بدورهما في إبهاج، وإسعاد الجميع بين عزف، ومرح طوال الليلة، في حين ذهبت سماح، وقبلت يد أبيها ثم ذهبت إلى غرفتها، و ترتسم على شفتيها ابتسامة الانتصار، ولذة الانتقام، والفوز بالمعركة.

مر شهر آخر والجميع منشغل بأعماله و"سماح" معتكفة في غرفتها ومعملها تحاول اكتشاف الجديد من علوم الطب، و الأمراض، والعلاجات، حتى توصلت إلى اكتشاف علاج بكتيريا متطورة من الطاعون "الموت الأسود الخبيث" الذي أطلقت عليه "الآلام العظيمة "، ذلك الوباء المميت الذي يحول دماء المصاب به إلى دمـاء نتنـة في عروقـه، ويـؤدي إلى مـوت مـؤلم وسريـع مـن خـلال انتـشار التقرحات، وبقع الدماء السوداء في جسد المصاب مع الآلام الفظيعة، والسموم المتعـددة التـي تنـتج مـن خـلال ذلـك الوبـاء، والبكتيريـا الطاعونيـة، واسـتطاعت سماح أن تطـور نـوع خـاص منهـا لتكـون فـترة حضانته أقـل مـن أسـبوع في جسـم الانسان من يوم إلى يومين بحد أقصى تقضي خلالها على جسده، ودمائه، وتتركه جثة مشوهة سوداء، واكتشفت أيضًا علاج ذلك الوباء واللقاح المضاد له، وكيفية تطهير المكان منه.

أسرعت سماح إلى مجلس أبيها مع شقيقتيها ولم تكد تنتهي من زف الخبر إلى أبيها باكتشافها العظيم، حتى أتى رسول آخر من أهل القرية يقول:

- سيدي العمدة إن ملوك الشمال اجتمعوا، وأرسلوا الرسل إلى الملوك في الأراضي الغربية لـ يتحالفوا ضدنا في حملة تأديبية بسبب ما فعلته سيدة الذبح في حملتهم السابقة، وإن الجيوش على مشارف الحدود الغربية قادمة إلى العزبة.

رد العمدة قائلاً:

- اذهب واجمع أهل القرية في ديوان الدوار، ولا تخافوا فـ سمـ"سخمت"ـاح ابنتي سـ تتولى هذا الأمر.

لم ينتهِ العمدة من قوله هذا حتى تهللت أسارير "سماح" على غرار أختها "حورية "التي كانت النقيض منها في طباعها، وتكره القتال، والدماء بشدة في حين حاولت "بهية" أن تلطف الجو، وتهدئ من حماسة أختها "سماح "، وتجعلها متزنة المشاعر غير ثائرة ولكن فشلت، بهية" هي بالنسبة لـ "سماح" القطة الوديعة المرحة، والنسخة الصغيرة منها في حين كانت سماح "اللبوءة الشرسة " والنسخة الراشدة من" بهية".

أسرعت سماح سيدة الدماء إلى غرفتها لترتدي درعها الذهبي و القناع الخاص بالحروب مع البلدان الأجنبية على هيئة أنثى الأسد، وحملت سيفها "الخباش" الذي ورثه العمدة عن عائلته الأولى مع كتبه، وبصحبة صولجانها الخاص.. ثم تحولت مرة أخرى إلى "اللبؤة سخمت" ووضعت بجيبها قارورتين أحدهما تحتوي على اللقاح والأخرى تحتوي على الوباء ومرض " الموت الأسود " الفتاك..

بعد ان ارتدت قناعها الذهبي، وحملت الوباء الذي طورته مؤخرًا تمهيدًا

للحـرب العظيمـة، كانـت في هيئتهـا المتحولـة نـصفها العلـوي نـصف أنثـى الأسد "اللبؤة سخمت" و نصفها السفلي نصف أنثى بشرية، وفي مشهد غريب امتطت جوادها الأصيل من اسطبل الدوار الكبير، وانطلقت مسرعة باتجاه الغرب لتُلاقي الأعداء على الحدود وما إن رأت مُقدمة الجيوش الغربية والتى لا يفصل بينها وبينهم سوى مئات الأمتار حتى أخرجت القارورة التي تحتوي على وباء "الموت الأسود"و نفثته مع الريح التي أوصلته بدوره إلى الجنود فـ انتشر بينهم كما تنتشر النار في الهشيم دون أن يدور بخُلدهم أي شيء وتناولت من جيبها القارورة الأخرى التي تحتوي على اللقاح المضاد.

أرسل القائد رسوله إلى "سماح سيدة الدماء" أتى الفارس قائلًا في خوف وهلع مما يرى:

- يا سيدة وحامية الصعيد القوية الشامخة التحيات لك يا "سماح" لقد وصلنا أخبار فعلتك السابقة، وإن لم تُسلمِ سلاحك وأرضك و تدفعون الجزية ستكون تلك الأرض هي قبرك الخاص و مثواكِ الأخير..

قهقهت "سماح" بصوت عالي زلزل كيان الفارس الراكب أمامها قبل أن تزأر زئير الأسود في البرية وبضربة واحدة من سيفها "الخباش" فصلت رأسه عن عنقه ليكون ردها هو:

"القتال حتى الموت أو الانتصار".

وأثناء حديثها مع رسول الجيش وقبل أن يتخذ قائد الجيش الغربي رد فعل بالهجوم كان قد أصاب نصف قواته الوهن وانتشر الوباء بينهم وأسودت

أجسادهم وظهرت الرائحة المُنتئة للدماء فسارعت القوات الباقية بالهجوم.

ترجلت سماح عن جوادها وهي تزأر ثم قامت بـ فعلة كانت الأولى منذ تحولها إذا بها تنفث النيران من فمها وكأنها تنين قادم من أعماق الصعيد من زمن الديناصورات المنقرضة، ليحرق كل من يتقدم منها، وهي تزلزل صفوفهم بالتقدم والكر، والفر، وقطع الرقاب بـ صَولجانها الذي تحمله بيد وسيف "الخباش" في اليد الأخرى و تنفث النار من فمها، ومع انتشار وباء "الموت الأسود " والنيران لم تمض ساعات حتى أصبح جيش الغزاة عبارة عن أكوام من الأجساد المُتفحمة والأجساد المُصابة بوباء" الطاعون الأسود"

احترقت تلك المنطقة واشتعلت النيران وساعدتها الرياح لتجعل بقعة عظيمة من الأرض تمتد بامتداد الحدود الغربية، وبفعل النار قد تم حرقها، و تركتها خلفها جرداء كأنها صحراء، لتعود سيدة الحرب والدماء مرة أخرى منتصرة إلى العزبة وتكتسب لقبًا حربيًا جديدًا بين أهل القرية فلُقبت ب سماح "سيدة الأوبئة" و "نافثة النيران" التي تحرق الأراضي الغربية، وتتركها صحراء بعد غزواتها التي من أنفاسها تشكلت حبات رمال الصحراء.

❀❀❀

مرت عشرة أعوام أخرى على المعركة الكُبرى، عم السلام العزبة وتزوجت "سماح" من "عبد الفتاح" المهندس البارع صاحب التصاميم المُبتكرة، والذي جعل القرية، والعزبة لها طراز فريد مُختلف عن باقي العزب المحيطة، وأنجب من سماح إبنهم "نور" الجميل الذي كان يشبه في جماله زهرة اللوتس المنتشرة على

ضفاف النيل والبُحيرات الصغيرة المتناثرة في جميع أنحاء الصعيد.

عمت الأفراح العِزبة وكانت "حورية"، و "بهية" دائمتين الاهتمام بالإبن والعائلة بأكملها، واستمرت السعادة، والفرح حتى اكتسبت "سماح" بعض الحنان من "حورية" بعد إنجابها "نور"، وجياش مشاعرها بعاطفة الأمومة بتأثير من أختها "حورية" وبعض مشاعر البهجة، والمرح من"بهية"حتى أصبح الثلاثة كأنهم أنثى واحدة بأشكالها و طبائعها المختلفة وتقلباتها في جميع مراحلها العُمرية المختلفة.

❀❀❀

مرت الأعوام سريعة و حال عائلة العمدة "رحيم" في استقرار، وسعادة مُقيمة على العزبة والعزب المجاورة، حتى أتى ذلك اليوم الكئيب حيث الجيل الجديد لأهالي أبناء القرية الذين لم يشهدوا قوة وانتقام سماح في شبابها، ولكن سمعوا عنها الأساطير من آبائهم وأجدادهم، وكانوا يعتبرونها مجرد تخاريف عجائز.

وابتدأ يظهر لدى الشباب نزعات التمرد والثورة على حكم العمدة وبناته فقام الشباب بثورة على حكم العمدة وبناته لكي يمتلكوا الأرض خالصة لهم، وبالفعل ضاعت أغلب الأراضي بسبب شباب القرية، والذي جعل القرى، والعزب المُحيطة تطمع أيضًا في أرض العمدة حتى أصبح مُلك العمدة يتآكل تدريجيًا، و ينحصر في داره وبضع قطع من الأرض المُحيطة بالدوار مما جعل العمدة"رحيم "يغضب على شباب القرية وأهلها والذي كان يُعد نفسه إله عليهم فكيف يتقبل ثورتهم عليه؟!

فاجتمع ببناته قائلاً:

- أترون بعد أن عم العدل في البلاد بقوتنا، وحكمنا، و عطاءنا لهم من خير وفرح وسعادة لهم، و الآن يتمردون بعد أن نال الشيب مني والعجز، أترضون أن يستمر هذا التمرد والنكران لنا ثم وجه نظره تجاه ابنته الغاضبة الصامتة أترضين هذا يا" سماح "؟!

قبل أن تتكلم" سماح" حاولت "حورية"أن تُثني أباها عن خطته التي كان يُخطط لها بإطلاق"سماح "على أهالي العزبة وترضيته وإبهاجه.

وساعدتها أُختها الصُغرى "بهية" بمحاول العزف على الناي ولكن هذا لم يُهدئ من غضب العمدة، وأخذ ينظر باتجاه" سماح" الغاضبة ينتظر ردها، وأخوتها مازالوا في حديثهم مع أبيها أخرستهم فجأة صرخة من سماح دوت في قاعات الدوار والديوان كزئير ألف أسد في البيداء قائلة:

- شعب متمرد وناكر للجميل بعد أن أنقذتهم مرات عديدة فى الحروب وأرسينا العدل، والسعادة، يتمردون، ويسرقون أراضينا ويجهرون بالغضب، والإهانة في وجوهنا؟!

- الآن حان الوقت لارتداء ثوبي الأبيض المُلطخ بالدماء مرة أخرى ولكن لن أُبقي على نسلٍ لهم، ولا زرع، ولا حرث، منتظرة إذنك أبي لأني إن ذهبت لن أعود قبل فنائهم.

تردد الأب "رحيم" قبل أن يُعطيها الإذن ولكن في غضبتها أطلقها قائلًا:

- اذهبي يا عزيزتي تحت رعايتي اذهبي وعيني وقلبي معك خذي معك

عصاتي قد منحتها لكِ واقتُليهم جميعًا ولا تُبقِ على أي نسلٍ لهم، وفي صمت أحاط بالجميع أخذت "سماح" عصا والدها الغليظة ثم ذهبت ترتدي ثوبها الملطخ بالدماء وقناعها الذهبي، وخرجت سماح لتصول وتجول قتلًا، وذبحًا في أهالي العزبة جميعًا، ومن جاورها.

حل الدمار، والخراب على أرض العزبة والصعيد بأكمله وسقت الأرض الدماء بدلًا عن الماء، وأصبحت الجثث والعظام مكدسة في أكوام وتلال وكانت سماح تتلذذ بالقتل كل يوم وسفك الدماء وشُربها من كاسات الدم ببطء ممتع لها، ولذة تعذيب أهالي القرية حتى قلت أعداد أهالي العزبة كثيرًا، وكل من حاول الفرار لحقت به، وقتلته قبل الآخرين، فانتظر الجميع العقاب على أفعالهم وأفعال الشباب وطيشهم.

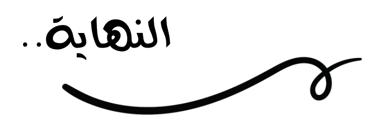
ليطلقوا على سماح لقب "سيدة العقاب" لقب آخر يضاف إلى قائمة ألقابها المتعددة، أصبح شرب الدماء عادة متكررة وإدمان لدى سماح، بعد مرور أيام وحلول الدمار والخراب استشعر العمدة خطأه الفادح، وأنه أطلق سماح لفناء الجميع وليس لعقاب حاول أن يُثنيها، ولكنها ضاعت في لذة وسكر شربها للدماء، ولم تعد إلى الدار أو عن أفعالها.

أخيرًا وبعد فناء غالبية أهالي العزبة والعزب المحيطة اجتمع العمده ببناته وزوجها، واستطاعوا أن يصنعوا شرابًا كثيف القوام من الفراولة والعنب الأحمر ليخدعوا به "سماح" ويسقيها كميات كثيرة منه مخلوطة بأدوية مهدئة ووصفات من ابتكار أختها حورية وبهية لتهدئة مشاعرها وزيادة إفراز هرمون الأمومة والحنان لديها.

وبعد عدة محاولات أخيرًا عادت سماح إلى وعيها وكانت كلما غضبت أسرع الجميع من أخوتها و الأهالي الباقيين بتقديم ذلك الخليط والمشروب لها حين تغضب لتعود هادئة مرة أخرى ولم يجرؤ أحد أن يعصي لها أمرًا مرة أخرى أو يُغضبها.

❀❀❀

عادت الأمور لتستقر مرة أخرى وأخيرة ليعود الجميع أخيرًا إلى طاعة حكم دوار العمدة من جديد ثم أصبحت سماح معلمة الطب لأهالي العزبة والجميع، وحامية الصعيد الجنوب والشمال بعد أن توحد حكمهم تحت راية العمدة، وحكام الصعيد الذين يدينون بالطاعة والولاء للعمدة وبناته، والذين أصبحوا يتعلمون الطب والسحر، والأسرار في دوار العمده، وتحت حماية سمـ"سخمت"ـاح سيدة الدماء، واستقرت الأمور مرة أخرى وإلى الأبد لتعود البهجة والسعادة تخيم على دار العمدة وبناته، وأهل العزبة جميعًا.



تاجر الزئبق

مستوحاة من قصص واقعية

ضربت القرعة تلك المرة، فكانت من نصيب المُستشيخ صاحب الأحجبة و الأمبول، والذي حكى قصته قائلاً:







تاجر الزئبق [1]

مستوحاة من قصص واقعية

مساء إحدى الليالي الصيفية من عام ١٩٩٥، وفي إحدى الأماكن البعيدة عن

---

(١) بعد قضية الزئبق الأحمر التي انتشرت في أوائل الأربعينيات من القرن الماضي حين اكتشف العالم زكي سعد سائل لونه بني يميل إلى احمرار أسفل مومياء القائد العسكري من الأسرة ٢٧ " آمون. تف. نخت" في مقبرته.

هذا السائل محفوظًا في زجاجة تحمل خاتم وشعار الحكومة المصرية، وتوجد متحف التحنيط في مدينة الأقصر.

وتُعتبر هذه الزجاجة السبب الرئيسي في انتشار كل ما يُشاع عن ما يُسمى بالزئبق الأحمر المصري.

عندما تم فتح التابوت الخاص بالمومياء الخاص بـ " آمون. تف. نخت " وجد بجوارها سائل به بعض المواد المستخدمة في عملية التحنيط وهي عبارة عن (ملح نطرون، ونشارة خشب، وراتنج صمغي، ودهون عطرية، ولفائف كتانية).

ونتيجة إحكام غلق التابوت على الجسد والمواد المذكورة، حدثت عملية تفاعل بين مواد التحنيط الجافة والجسد، أنتجت هذا السائل الذي وضع في هذه الزجاجة، وبتحليله وجد أنه يحتوي على (٩٠،٨٦ ٪) سوائل آدمية (ماء، دم، أملاح أنسجة رقيقة) و(٧،٣٦ ٪) أملاح معدنية (ملح النطرون) و(٠،١٢ ٪) محلول صابوني و(٠،٠١ ٪) أحماض أمينية، و(١،٦٥ ٪) مواد التحنيط (راتنج، صمغ + مادة بروتينية) وتم ذكر هذا في التقارير العلميه والآثارية.

ثم بدأت عمليات النصب المتتالية تحت مسمى الزئبق الأحمر... الذي لا وجود له من الأساس ولا توجد مادة باسم الزئبق الأحمر الفرعوني.

كم تعرض المتحف في الأقصر أكثر من محاولة للسرقة في السنوات التالية إلا أن أجهزة الأمن نجحت في منع تلك المحاولات.

كثرت عمليات النصب منها بأكثر من حجة وأصبحت الإشاعات واقع ثابت وقوي مثل لعنة الفراعنة الخاطئة في المعنى والمسمى.

وترسخت في الأذهان مثل مصاصيين الدماء والمُستذئبين وغيرهم من الأساطير التي أصبحت واقع وعمليات النصب كل سنة من الأربعينيات حتى الآن مستمرة.

المناطق العمرانية المزدحمة... بداخل بيت عتيق مُكون من طابق واحد مبني على أرض مُنفردة لا يُحيط بها سوى الأراضي الجرداء المُقفرة؛ جلس رجُل غريب الهيئة ذو لحية طويلة شعثاء، وعيون غائرة، ووجنتين بارزتين، ووجهه أشبه لمومياء مصرية قديمة يرتدي فوق رأسه عمامة خضراء، وحول عنقه المسابح والعقود التي تحوي عشرات من المثلثات ذات الأغلفة الجلدية، و التمائم والأحجبة.

في مواجهة مائدة مستديرة منخفضة داخل غرفة ذات طابع عربي تُشبه خيام الملوك قديمًا تُغلفها إضاءة حمراء خافتة عبقت جدرانها أدخنة وروائح البخور الثقيلة، وزُينت جدرانها بخطوط طولية وعرضية، و مربعات بداخلها أرقام ودوائر ونجوم خماسية، وسداسية، وعليها حروف طلاسم، و خواتم يُدركها السحرة جيدًا.

جلس في منتصف الغرفة ذلك الرجل الغريب، و أمامه جلس رجلان، وشاب على أرائك، و وسائد أرضية مزخرفة و من تحتهم فُرشت أرضية الغرفة بأكملها من السجاد الإيراني، السجاد العجمي؛ أو كما يُطلق عليه بالفارسية "فرش قالي"، وفي ركن الغرفة جلس في الظلام رجل يبدو عليه الغموض لم تظهر ملامحه بسبب الإضاءة الخافتة، و أدخنة البخور الكثيفة التي تُغلف الغرفة بأكملها، ولكن منظر السلويت لمظهره العام يوحي بأنه رجل ذو مكانة في البلاد ومن أطراف ثيابه الغالية التي كشفت عنها الإضاءة.

رسَخ في وجدان الجميع أنه من علية القوم أغنياء البلد وأصحاب السُلطة؛ أما الرجلان فكان أحدهما يرتدي جلبابًا صعيديًا ذو أكمام واسعة وتحته يرتدي

السديري، والآخر يرتدي زيًا عاديًا مُكون من قميص، وبنطال بينما ارتدى الشاب ملابس رياضية، جلس الثلاثة، ورابعهم الغامض في سكون لم ينبس أحدهم ببنت شفة.

حتى غمغم الرجل الغريب الذي يُشبه المومياء بكلمات خافتة لم يُميز الجالسون سوى كلمات متفرقة منها "أحضر.. ساهور سي.. خدامك.. الزئبق "

ثم تحدث بصوت غليظ أجش كأنه قادم من أعماق بئر سحيق قائلاً:

- "كله هيتراضَى كله هيرجع مجبور الخاطر وطلبه معاه لما تقدموا المعلوم لصاحب الحضرة ساهور سي زعيم قبيلة الجن الهوراسي الهندوسي وأتباعه..".

كان الجو مُقبض ومُفزع لا يساعد على أي حوار أو حديث مطول وخيم الصمت حتى أشار الرجل ذو العمامة الخضراء لأول الجالسين عن يساره بالحديث وقول مطلبه الذي جاء من أجله.

وفي كلمات قليلة تحدث صاحب الجلباب الصعيدي قائلًا:

- "بركاتك يا شيخنا أنا و صحابي بـ نكحت ونحفر في الجبل من ٣ تلت سنين وصلنا لباب المقبرة واختفت وكل ما نكحت زيادة بتختفي وجيتلك طالب الخدمة، والعون في فك الرصد اللي عليها ونطلع الكنز منها والدفينة".

ثم أدخل يده في جيب بجانبه الأيسر المفتوح إلى داخل الجلباب ثم أخرج محفظة عملاقة من جيب السديري مربوط طرفها بسلسلة صغيرة تصلها بالسديري كي تمنع المحفظة من السرقة أو الوقوع، وأخرج من المحفظة خمسة آلاف جنيه، ووضعهم أمام الرجل الغريب.

أخذهم صاحب وجه المومياء ثم أخرج من جانبه أمبول خشبي مُزخرف نُقشت عليه حروف غريبة، و رموز مصرية قديمة مُغلق من جميع الاتجاهات، ومُصمت ثم اقتطع أحد الأحجبة الجلدية المُثلثة من حول عنقه ودفعه إلى الرجل ذو الجلباب الصعيدي قائلًا:

- "خذ هذا الأمبول الخشبي الذي يحتوي على الزئبق الأسود الخاص بالرصد وجن الخدام المكلفون بالحراسة وحين تصل إلى باب المقبرة مرة أخرى قم بتلاوة القسم المكتوب عليه ورسم الطلسم الموجود داخل هذا الحجاب على جلد غراب بعد ذبحه، وقم بخلط دم الغراب مع دم حيض إحدى نساء بيتك، ويفضل من البكارى وليس الثيب منهم، ثم ترسم الطلسم وتكتب بداخله الكلمات الموجودة في الحجاب، وتحرقهم فوق مدخل الكنز، وتكسر الأمبول سوف يجعل الجن الحارس المُكلف برصد المقبرة يجيبك ويكون طوع أمرك ويساعدك في فتحها وإخراج دفينتها".

انتهى الرجل ذو وجه المومياء من حديثه فتهللت أسارير ذو الجلباب فقبل يده، وانصرف وهو مبتهج منشرح الصدر، وقد انفرجت أساريره عن ابتسامة الرضى والنوال بعد طول عناء، وحرمان دخل محروم، وطالب، وخرج مجبور الخاطر.

ثم أشار الشيخ إلى الرجل الآخر الذي يليه فتحدث الرجل الذي كان بجانبه قائلًا:

- "يا شيخنا أنا سمعت من صديقي إن حضرتك ليك بركات وإنك تقدر

تولد من الجنيه دولارات باستخدام الزئبق الأحمر للجن أنا موظف على أد حالي، ونفسي يبقي معايا من الأخضر كتيييير، وجاهز أشتري أي كمية تُرضي الجن عني وتخليه ينزل من الجنيه دولارات ودي تحويشة عمري وكل ما أملك".

فتح الرجل حقيبة صغيرة كانت بجواره وأخرج منها خمسين ألف جنيه مصري ثم دفعها إلى الساحر الجالس أمامه.

أخذها ذو وجه المومياء ثم أخرج من جانبه قارورة زجاجية تحوي ٣٠٠ جرام من الزئبق الأحمر ذو بريق فسفوري الذي يُشبه الدماء المشعة قد اشتراهم من ساحر مغربي آخر..

ثم قال له:

- الزئبق ثلاث انواع :

-النوع الأول: الزئبق الأسود الفرعوني الخاص بفتح المقابر، ويوجد بداخل المومياوات المصرية، ولا يستطيع إخراجه أو إحضاره سوى زعماء قبائل الجان والمردة الأقوياء ويستخدمها البشر على الرصْدة والخدام فتكون هي و الجن العادية في خدمة صاحب الزئبق.

-أما النوع الثاني: وهو الزئبق الأزرق المشع الذي يتغذى عليه زعماء القبائل أنفسهم، ويطيل في أعمارهم ويُكسبهم قدرات خارقة، وقوى تفوق قدرات الجن الطبيعية، ويجب تقديمه بيد بشرية ليكتسب مفعوله كقربان له من خلال بشري، وليس من خلال جن آخر ويكون من حق البشري أن يطلب من الزعيم الدولارات والعملة الأجنبية كيفما شاء، وهذا الزئبق متوفر لدى السحرة

المغاربة والهنود والذي تربطني بهم صلات قوية.

-**أما بخصوص النوع الثالث:** وهو الزئبق الأحمر والذي يُطيل عمر البشر ويُكسبهم قدرات جنسية، وصحة غير طبيعية لسنوات عديدة وهذا النوع لا يعلم مكانه سوى زعيم قبيلة الجن الهوراسي الذي يعمل خادم لي، ولا يوجد في أي مكان سوى في مقابر سحرة وكهنة المصريين القدماء.

أنهى الرجل درسه المصغر عن أنواع الزئبق المستخدمة في السحر وبعد أن أتمم بيعته الأخيرة وأخذ أموال الموظف وأعطاه الزئبق الأزرق الذى طلب الموظف استخدامه على الفور كقربان للجان.

أخذ ذو وجه المومياء الزئبق من القارورة الزجاجية ووضعه في إناء خزفي منقوش عليها كلمات وطلاسم متفرقة، مفرقة الحروف، ورسوم لنجوم، ومربعات تحتوي أرقام معينة، ووضع الزئبق اللزج الذي يُشبه دماء لزجة كثيفة، ولكن زرقاء اللون مشعة في الإناء ثم قام بتلاوة تعويذة خاصة، وتمتم ببعض الكلمات فتحول لون الزئبق من أزرق لـ أحمر لـ أسود ثم إلى لون ذهبي حتى استقر على اللون الأخضر، ثم أصبح لونه شفاف، كأنه اختفى ثم احترق باشتعال فسفوري قرمزي اللون، واختفى تمامًا قام بعدها ذو وجه المومياء بإحضار أوراق بيضاء، وأوراق شجر أمامه وتلى تعويذة أخرى لم تمض دقائق حتى تحولَت الأوراق إلى آلاف العملات الخضراء من فئة الدولار الواحد الذي كان يساوي ثلاثة جنيهات وثلاثون قرش تقريبًا في ذلك الوقت، كانت بمثابة ثروة هبطت على الرجل الموظف من السماء تُقدر بعشرات أضعاف ما قدمه من أموال وجنيهات مصرية.

وأخبره ذو وجه المومياء أن أمامه شهر واحد فقط كي يستمتع ويصرف تلك الأموال قبل أن يزول مفعولها وتعود إلى سيرتها الأولى.

قام الموظف بأخذ غنيمته ووضعها في حقيبته حتى امتلأت ووضع الباقي في جيوبه، وانصرف وعلى وجهه ابتسامة النصر والفوز، وكاد أن يرقص، وهو في طريقه إلى الخروج من المبنى.

ثم تحدث الشاب ذو الزي الرياضي قائلًا:

- "انا يا باشا شاب غلبان ومش معايا أي حاجة غير الحلق ده وعاوز أسافر بره مصر، أو يكون معايا فلوس كتير زي الراجل الطيب ده وأعمل مشروع كبير وأبقى غني أوي".

ثم أخرج القرط من جيبه ذهبي على شكل هلال، وله ثلاثة نجوم مطرزة حلق قديم الصناعة من الذهب البندقي عيار أربعة وعشرين قيراط ٢٤ كان يملأ راحة يده، ويُساوي بضعة آلاف من الجنيهات كانت غير كافية لشراء الزئبق، وقدمه لذو وجه المومياء الذي مد يده ليأخذه ثم تراجع فجأة.

في حين برقت ولمعت عينا الرجل الجالس في ظلمة غموضه حين شاهد القرط حتى ظهرت عليه التفاته وبادرة فـ تحرك من مقعده حتى كاد أن يخرج إلى النور لكنه نفض عن عقله تلك الفكرة، وعاد ليستقر في مقعده مرة أخرى.

التفت الرجل الغريب ذو وجه المومياء إلى الفراغ بجانبه واستمع إلى الخواء بجانبه، تبادل بعض الكلمات مع الفراغ ليقول إلى الشاب:

- يا لص استوليت على قِرط والدتك" زينب" الذي أعطته لها والدتها حينما

خرطها خراط البنات، والذي ورثتها عن أمها، وأم أمها الذي شهد معها أفراح وأحزان كثيرة وشهد معها الملكية، وخروجها، ثم الجمهورية بعدها ثم النكسة والعدوان، والحرب، والانتصار ولم تتخل عنه حتى حينما تزوجت ابنتها شقيقتك التي لم تتخل عنه بدورها وحتى عندما طلبته للسفر لم تعطه لك، ورفضت فتقوم أنت بسرقته؟! هذا القرط ملعون وخراب وذل على من يملكه وعلى مصر بأكملها.

ثم دفع القرط إلى صاحبه ليخرج أول شخص مكسور النفس يعلو وجهه حزن و غم من مجلس شيخ الزئبق ليعود إلى والدته ويعطيها القرط مرة أخرى.

وبعد أن انفض المجلس إلا من ذو وجه المومياء والرجل الجالس في الظلام ؛هنا فقط خرج الرجل من ظلامه وقال:

- "ما كنت خدت منه الحلق ده وألا إيه ياراجل بلا ملعون بلا نحس كبر مخك ".

فيجيبه شيخ الزئبق:

هذا القرط ملعون ومنحوس وسيجلب الفقر والخراب، أنا لن اقترب منه أبدًا، أما فخامتك فلك مني ثلاث جرعات من أكسير الشباب والزئبق الأحمر الأصيل.

الجرعة الأولى سـ تكفيك حتى الألفية الثانية عام ٢٠٠٠ والثانيةحتى عام ٢٠٠٥ والثالثة حتى عام ٢٠١٠.

ليضحك الرجل الجالس في الظلام ضحكته المفخمة المعتادة ويأخذ الثلاث جرعات ويقول:

-"انا ناوي أقعد لحد عام ٢٠٥٠ أنا مش همشي ولا هسيب البلد أبدًا واللي

مش عاجبه هو يمشي ثم يضحك ويخرج في سعادة غامرة لتنقطع الكهرباء عن المنطقة، وتهبط هليكوبتر حربية تنقل الرجل الغامض وتنصرف ويغادر كل القناصة المتمركزين في نقاط متفرقة وأفراد الجيش والشرطة التي كانت تؤمن وتحمي الرجل الغامض إلى عرباتهم التي تقبع على مسافة ليست ببعيدة ليغادر الجميع وتعود الكهرباء.

وداخل البيت يستمتع بـ غنيمته شيخ الزئبق، يضحك بجنون وهو يقول:

- " أه يا مغفلين أه يا مغفلين..! "

تمت

روح قديمة

وما أن أنتهى المستشيخ حتى أتت القرعة على ذلك الذي يرتدي ملابس من الكتان الشفافة خُيل لي أنه لديه ذيل أحمر ولكن أصبح ذلك الشيء غير غريب وسط تلك المجموعة فبدأ قصته قائلًا :

-أنا الكاهن" نهرو" كاهن بنو "عبقر" وسأحكي لكم عن أقدم قصة أشباح في التاريخ تم اكتشافها قصة "خنسو محب والشبح الضال". فأنا أقدم قاص ومؤلف.





روح قديمة

خنسو محب والشبح

أقدم قصه رعب فى التاريخ [(١)]

جلس "نيهرو" كاهن بنو "عبقر" في سفح جبل الوادي بجانب مغارته التي يُقيم بها، أمامه تحلق الصغار كعادتهم اليومية حيث يستمعون إلى قصص الكاهن" نيهرو"التي تُحدثهم عن العالم الآخر.

دقائق حتى هدأ صخب الصغار وانتظمت حلقتهم ثم ما لبث أن خيم عليهم الصمت التام الذي بدده " نيهرو " عندما قال:

-يا أشقياء الجبل وسُكان الكهوف والمغارات اليوم سأخبركم بخبر قديم بقدم الصحراء، وصخورها، وحبات الرمال فمنذ مئات القرون والعديد من الأعوام،. في عصر سابق وزمنٍ قديم حيث كانت قصص الأشباح، والأرواح لا تُخيف الرجال، وكانوا يتجولون جنبًا إلى جنب في المقابر والمعابد والبُلدان،

(١) هذة القصه هى إعادة صياغه لأقدم قصة مُكتشفه فهى أقدم قصه أشباح فى التاريخ تم اكتشافها حتى الآن وهى تعرف باسم قصه الشبح أو خنسومحب والشبح وهى تقص حكايه الكاهن الأعلى لأمون خنسو محب حين كان يتجول فى المقبرة الملكية وشاهد شبح تم تدمير مقبرته وتدور القصة حوار بين الإثنين القصة مُكتشفه على أربع أوستراكات "شقف فخار" تم العثور عليهم بدير المدينه بالقرب من طيبه فى الفترة ما بين عامين ١٨٨٠الى ١٩٠٥ وتم توزيعهم على بعض المتاحف موجودين الآن في أربع متاحف مختلفة فى باريس وفلورنسا وفيينا وتورين كل قطعة من الشقفات الأربعه تحكى جزء من القصة معظم المُقدمة مفقودة و جزء كبير من القصة مفقود وبعض الأسطر في المحتوى والنهاية مفقودة أيضًا تؤرخ الشقفات إلى عصر المملكة الحديثة أو الدولة الجديدة في عهد الرعامسة وتقص قصة شبح من عهد الدولة الوسطى بدايات الأسرة الحادية عشر مع الكاهن الذي تلاه ببضعة أعوام وهي حتى الآن تعرف بأقدم قصة أشباح مُكتشفة فى التاريخ.

سأقص عليكم من ذلك الزمان حكاية حدثت في مكان غير هذا المكان قصة روح قديمة، و شبح غاضب مُتجول.

سأقص عليكم قصة رعب غير مُخيفة بها عظة وحكمة وأحداث عجيبة هي أول قصة كتبت عن شبح في الزمان "الشبح المتجول "مع الكاهن الكيمتي "خنسو محب" كبير كهنة "آمون" حيث كان في الأرض السمراء التي يجرى بها النهر، و يفيض بالحياة وبالتحديد في جنوبها بمقاطعة "طِيبة".

قبل أن يُكمل الكاهن حديثه قاطعته السماء حيث أبرقت وأرعدت بدوي مُخيف وهبت حبات الرمال في ثورة تضرب وجوه الصغار والكاهن الجليس كألف ألف صاعقة صغيرة تلسع الرؤوس والوجوه وأمطرت السماء وتساقطت من الجبل المياه فرفع الكاهن عصاه وتلى تعويذة قديمة صنعت هالة كبيرة تُحيط بـ حلقتهم تمنع عنهم المياه والرمال وعزلهم عن العالم، ثم صنع لهم شراب ساخن ووزعه على الصغار الذين تقاربوا في جلستهم حول الكاهن وأنصتوا باهتمام.

صمت الكاهن" نيهرو" بضع دقائق وهو يخرج شقف الفخار أربع قطع رصها بإتقان في ترتيب ثم ترجم ما كتب عليها على آذان الصغار.

قائلًا: كان الكاهن الأعلى لـ"آمون" "خنسو محب" ذات يوم يتجول كعادته الدائمة في المقبرة الملكية بـ "طيبة " حيث كان يقدم القرابين إلى والديه بجانب مقبرة الملك، وبجانبه المعبد الجنائزى الكبير لأبيه وعلى بُعد أمتار قليلة فجأة خرج من بين الرمال دخان كثيف أزرق سرعان ما تحول إلى شبح ضبابي غاضب يصرخ ويتقدم مُسرعًا باتجاه الكاهن "خنسو محب" الذي فزع حينما رأى تلك

الروح الضالة والغاضبة في المقابر الملكية بطيبة حيث تُقدم القرابين وتُرضي جميع الأرواح.

اقترب "خنسو محب" خطوات من الشبح الغاضب، وقال: ماذا حل بك أيتها الروح التائهة؟!

بحق النترا أبو"أنوبيس" قائد الغربيين و ملاك الجبانة الذي يجلس على جبل الأسرار في العالم السفلي ويقود التائهين إلى يوم المحاكمة أمام النتر "أوزير" أخبرني كيف ضللت طريقك إلى هنا وما حل بك أخبرني بقصتك، وسوف أقدم لك القرابين لتهدأ ولكي تسعد روحك.

-زمجر الشبح الغاضب و انتفض وثار قائلًا:

لقد سمعت تلك الوعود كثيرًا قبل أن تنطق بها من رجال آخرون لم يفوا بها وها أنا أعاني منذ أعوام كثيرة خمسة عشر عام، وأنا تائه في الصحراء والجبال.

رد عليه "خنسو محب":

-أنا لست برجل عادي فأنا كاهن أعلى من كهنة آمون الأربعة الكبار وبحق آمون ملك كل الآلهة لـ أبر بقسمي ولن ارتاح قبل أن تسعد روحك.

-اغرب عني وانصرف إلى حيث تذهب ودعني لمعاناتي.

- سأنصرف إلى منزلي أيها الشبح ولكن حين أصل سأناديك فلبِ ندائي.

ترك "خنسو محب"الشبح الغاضب على وعد باستدعائه مرة أخرى وانصرف يكمل طريقه، وما إن وصل بيته وانتهى من شؤونه اليومية حتى صعد إلى السقف المسور، وأمر الخادم أن يُعد فراش للجلوس لأنه سيقضي ليلته بالأعلى، وما إن

انتهى حتى وقف "خنسو" مرة أخرى أمام سور السطح وهو يردد:

-بحق أمون كبير الآلهة و إله السماء وإله الأرض وإله الشمال والجنوب والشرق والغرب فلتحضرِ أيتها الروح الضالة و تُخبريني باسمك و باسم أبيك وأمك لأقوم بتكريمك وتقديم القرابين إليك.

وما إن انتهى الكاهن "خنسو" حتى ظهر في منتصف سقف الدار ذلك الدخان الضبابي، وتجسد مرة أخرى في نفس الهيئة ولكن تلك المرة بملامح هادئة ووجه لا يشوبه غضب.

تحدثت الروح قائلة:

انا من طلبت حضوره ولقد جئت لأكون رفيقك الليلة يا من دعوتني ولتعلم أن اسمي هو "نب سا نخت" ابن "عنخ مين" و أمي هي "تا مسيت".

قال "خنسو محب" وهو يقترب من الشبح ويشير له بالجلوس:

- اخبرني يا "نب سا نخت "ما هي حكايتك ولماذا أنت تائه.؟

- حكايتي أيها الكاهن الطيب تبدأ عندما كنت حي أمشي على تلك الأرض، فلقد كنت وزيرًا ملكيًا ومشرف على كنوز الملك" منتوحتب الثانى"، " نب حبت رع" ابن "انتف الثالث" وأمه أيهو "فليعش في سلام وصحة"، كنت الوزير المقرب له، وقائد الرجال في جيشه القوي الذي وحد به الوجهين القبلي والبحري ووحد أرض كيميت بعد النزاعات التي ضربت أقاليمها وفترة الضعف والنهب التي سادت البلاد، وفى عهده جرى النيل المقدس بالفيضان وعم بالخير في عيد الظمأ بعد أن عطشت الأراضي و قل الزرع والماء كان عهده عهد وحدة، وقوة، ورخاء.

وحين توفيت لم يبخل سيدي وصنع لي تابوت خاص من الخشب المذهب الكبير، وأعطاني أربع أواني وجرار من الالباستر حفظ الكهنة بها أحشائي والمعدة، والأمعاء، الرئتين، الكبد، وصنع لي أعظم ما يُصنع من أثاث جنائزي لشخص في مكاني حيث أمر بصناعة كل شيء وعين لي خمسة وعشرون خادم لتقديم القرابين إليَّ كل يوم.

قاطعه الكاهن" خنسو محب":

-عظيم نِعمَ الملك القوي "نب حبت رع" المُحب لحاشيته الذي يُكرمهم بعد رحيلهم ولكن كيف أصبحت هكذا؟ أخبرنى وأعدك أن أصنع لك ما شئت من أثاث جنائزى وأقدم لك القرابين كيفما شئت لترضى روحك لتنعم بالخلود في حقول الإيارو "الجنه".

ردت الروح بغضب:

- كيف تتجرأ؟ إن مولاي صنع لي ما يصنعه الملوك ولن تبلغمهما أردت مقدار عطية مولاي.. لقد كان الرجال يحملون ما يُزين مقبرتي التي بلغت اثنتى عشر رمح، وبيتي الأبدي لمدة شهور في الجبل الغربي حتى عصفت بهم ذات يوم الرياح الشديدة وتدهورت، وتشققت الأرض من تحتهم فانهارت بهم المقبرة وضاعت في الرمال، والصحراء إلى الأبد و ضلَّت روحي الطريق إلى قاعة الحساب أمام "أوزير".

بكى الشبح وأغرورقت عيناه بالدموع ثم قال مكملًا حديثه:

-فها أنا تائه حزين أُعاني الجوع بلا طعام كلما هبت رياح الشتاء الباردة أمشي

في الصحراء، ولا ترى عيناي نور النهار حيث يُشرق "رع" فقد صرت أسير الظلام دومًا في ليلٍ مقيم وحزن أليم.

اقترب الكاهن "خنسو" أكثر من الروح في مجلسه ينتحب وعينيه تفيض بالدمع حزنًا عليه، ومد يده تمسح برفق على كتف الشبح للحظات ما كادت أن تستقر عليه حتى اخترقت يده ببطئ، وكأنها تنساب عبر مياه فتذكر الكاهن أنه مجرد شبح ضبابي وهو يقول بحزن:

- "آه كم هو حزين ومؤلم، آه كم هي سيئة حياتك بدون أكل أو شرب و لا ترى عينيك سوى الظلام، لا تستطيع استنشاق نسمات الشمال في الصباح، لا تتقدم في العمر أو تصغر، أن تصحو ولا تستطيع الرحيل حيث شئت".

ثم بكى الكاهن وصاحبه الشبح الضائع في بكائه حتى قطع البكاء "خنسو محب" قائلًا:

- أعدك أيها الشبح بأني سوف أبني لك مقبرة أخرى لترتاح روحك بها.

قال الشبح:

- لقد تم وعدي بهذا الوعد مرات عديدة ولم يفِ أحد بوعده من قبل وها أنت تُعدني به مرة أخرى..!

قال له" خنسو " كبير كهنة آمون ملك الآلهة:

-أخبرني فقط ما هي المقبرة التي تريدها وأعدك بأنني سوف أصنعها لك وسأكرس لك خمس رجال موظفين عليها، وخمسة من الخدم يقوموا يوميًا بتقديم النبيذ وجوال من القمح وأطباق الفاكهة وصب الماء على ضريحك كل يوم.!

قالت الروح:

- ما فائدة هذا إن لم أجد مكان حيث تشرق الشمس وحيث تنبت أشجار الجميز المقدسة فبيتي الأبدي انهار، وضاع في باطن الأرض، ومهما طال به الزمن فمصير صخوره التفتت، والضياع لقد حان موعد الشروق، و موعد رحيلي للعالم السفلي حيث التائهين تُعذب أرواحهم في بحيرات النار، وتلتهم "عم موت" شيطانة الجحيم التي أهرب منها ليلًا، وأعود حين تنام في النهار، سوف ألقاك في الليلة القادمة إذا لم تعثر عليَّ الشيطانة وتلتهمني.

- وداعًا أيها الكاهن الطيب.

قال الكاهن وهو يراه يتحول إلى دخان يخف تدريجيًا:

- سوف لن آكل،أو أشرب، أو أرتاح طوال النهار حتى أعثر لك على مقبرة جديدة تسعد بها روحك، وقلبك أيها الشبح، ولن أرتاح قبل أن أنقذك من "عم موت" ملتهمة الأرواح، والعظام، والأشرار، فأنت كنت طيب في حياتك، ويجب تكريمك بعد مماتك، وإسعاد روحك.

نهض الكاهن خنسو بعد أن اختفى الشبح تمامًا ونزل إلى مساعديه وأمرهم بأن يبحثوا عن مقبرة جيِّدة قرب المعبد الجنائزي للملك "منتوحتب" الثاني بالدير البحري بأقصى سرعة.

ما إن انقضى النهار حتى عاد كبير مساعدين الكاهن والمشرف الهندسي ليخبره أنه وجد مقبرة طولها خمسة وعشرون ذراعًا جاهزة لتحمل اسم من شاء وتكرمه، وتكون مستقر أبدي له.

جنى الليل سريعًا والكاهن "خنسو محب" مع مساعده يناقشه في التفاصيل وما إن ظهرت الروح حتى قال الكاهن خنسو ومساعده في نفس الوقت للروح" لقد وجدنا المقبرة التي ستُسعد قلبك".

وشملت البهجة ثلاثتهم، وانطلق المساعد إلى المقبرة ليقوم عليها ويعدها لتكون جاهزة لمراسم الدفن الجديدة لتحمل اسم الوزير "نب سا نخت"

بينما مضى الكاهن والشبح في سمرهم تلك الليلة حتى انسلخت وذهب كل منهم إلى مستقرِه. مضى أسبوعان آخران حتى اكتملت المقبرة بالأساس، وأصبحت مُعدة بالكامل، وأقام الكاهن "خنسو محب" مع مساعديه طقوس الدفن، وأمام المقبرة قام بطقوس استدعاء، واستحضار أمام الغربيين "انبو" ليقود الطريق أمام روح الوزير التائهة إلى المقبرة، و المستقر الأخير.

وهو يقول:

أيها العظيم "إنبو" حارس الأسرار أمام الغربيين الذي يعلو جبله وحافظ سر الكلمات السبع الأولى الكلمات الأوزيرية، سيد الأرض المقدسة الجبانة، رئيس الخيمة الإلهية أستدعيك يا عظيم جبانة الغرب وقائد الأرواح الضالة، من يقف في غرفة الحساب يُحصي ويزن القلوب.

ما أن انتهى الكاهن "خنسو" حتى انفجرت الرمال أمام المقر وكشفت عن طريق صاعد ظهر عليه كائن عملاق يشبه الرجل، ولكنه برأس ابن آوى ذو جسد مفتول، وعضلات بارزة يحمل بيده عصاة الواس رمز القوة، والحكم، والأخرى ميزان صغير.

اقـترب مـن الـشبح، وانتـزع قلبـه، ووضـعه في جـراب يلفـه حـول خـصره وأمسك بيده وهو يقوده إلى داخل المقبرة أمام عيون الجمعْ الصغير من الكاهن، ومساعديه داخل المقبرة، فتح دائرة من طاقة ونور تقوده عبر صحراء غريبة، وطريقه إلى خيمة سرادق الحساب في قاعة الحقيقة أمام "أوزير"، و "ماعت"، و "عم موت" عبر طريق رملي مخيف، وصف طويل من الأرواح بانتظار الدور في قاعة الحساب، والمحاكمة.

وبالخارج قام الكاهن بختم المقبرة بسبع أختام سرية وأمر خادمه بتقديم القرابين يوميًا إلى روح "نب سا نخت".

انتهى الكاهن" نيهرو" كاهن بنو "عبقر "من قص حكاية الكاهن خنسو، والشبح "نب سا نخت"، وقال للصغار:

- لقد مرت آلاف الأعوام على حكاية ذلك الشبح الطيب حيث كان البشر من بنو آدم أصدقاء لنا، وكنا أصدقاء لهم أما الآن فـ نحن نستمتع بـ بث الرعب بقلوبهم و نتغذى على خوفهم فلا تكونوا مثل أرواح أجدادكم القديمة، وكونوا مردة، جن، وأشباح مرعبين.

انتهى كاهن بنو "عبقر" من قصته وعظته ومع آخر كلماته، كانت السماء أقلعت عن هطول الأمطار، وعاد كل شيء إلى ما كان، وانتفض الصغار، وكشر كل منهم عن أنيابه، وأبرز قرونه وأخذ ذيله بين أسنانه، وانطلق كالريح العاصفة فوق الرمال، وبين الجبال يبحثون عن البشر لإخافتهم، و بث الرعب بقلوبهم أينما يكونوا سواء بالوديان، أو المدن، أو البلدان.

تمت

الماسخ

كان ذلك الدور خاص للذي يحمل لفافة تحتوي على أخر كيس سكر ليروي قصته قائلًا :





المـاسـخ

شقة متواضعة صغيرة في أحد أحياء القاهرة..وداخل غرفة الاستقبال حيث البهو الخارجي التي جُردت من أثاثها، وتركت فراغات تدل على آثار آثاث كان يملأ مساحات الغرفة، غطتها الأتربة وجُردت من كل معالم الشقق المحترمة إلا من بضع مقاعد بالية متفرقة، وأرضية جرداء، وفي منتصف الغرفة رقدت جثة حديثة لرجل نُحرت رقبته.

لتسيل دماءه من عنقه تُلون الأرضية العارية من أسفله باللون الأحمر القاني لون الدماء النازفة الساخنة؛ وفي غرفة النوم ارتمى في إنهاك واضح "الماسخ" على سرير مُتهالك، و وسائد النوم التي تلونت بلون العرق، والأتربة التي امتزجت مع لون المرتبة فـ تحول بياضها إلى اصفرار داكن بدون أي كساء أو أغطية.

❀❀❀

"الماسخ" وهو اسم وليس صفة لشاب جامعي كأي شاب في القاهرة نحيل ذو شعر قصير غير مهندم ذو بشرة حنطيه وعيون سمراء ولحية شعثاء عاطل عن أي عمل وُلد وعاش شبابه في زمن ومجتمع ضربت به كل الأهوال والمصائب فتحول اسمه إلى صفة لحياته التي أصبحت مريرة ماسخة حولته من شاب جامعي يبحث عن مستقبل مُشرق إلى مسخ نمطي ومن ثم إلى قاتل..

ضحك الماسخ بجنون ضحكات متقطعة شبيهة بضحكات ضبع مرقط هستيرية وهو يحتضن غنيمته، لا يصدق كيف أقبل على فعلته والآن معه غنيمته "كيلو جرام كامل من المادة البيضاء" التي يعاقب القانون على الإتجار بها.

بجانب السرير طاولة صغيرة عليها سلاح الجريمة مدية صغيرة مازالت تقطر دماء، نعم إنها دماء ضحيته المُهرِب مبعوث كبير تجار المادة البيضاء، نعم هو بعينه الجثة الهامدة في غرفة الاستقبال الخارجية والتي نزفت كل دمائها حتى أخر قطرة وكأنها عانت من مصاص دماء.

نظر الماسخ من نافذته ليتأكد بأن لم يسمعه أحد من الجيران أو السكان المحيطين وقام بإبلاغ العسس، جلس على الكرسي بجانب الطاولة بعد أن تأكد بأن لا أحد انتبه لفعلته، أعدَّ محقنه الذي أخرجه من أسفل وسادته، ثم قام بإعداد كوب من القهوة ليأخذ أول جرعة من المادة أضاف خمسة جرامات بمحقنة في مادة القهوة الداكنة تلك الطريقة الكلاسيكية التي اعتاد عليها قديمًا ولا يزال يستخدمها على غرار المدمنين أمثاله الذين يتناولون جرعاتهم مباشرةً في الدم من خلال الحقن الوريدي.

❀❀❀

الآن هدأت ضربات المطارق في رأسي وصوت تساقط قطرات المياه المزعجة التي كانت تصم أذني منذ قليل، وتتساقط بداخل رأسي كأنها قطرات من الجحيم ذاته لتحرق دماغي وعقلي البائس، وتُذيب أفكاري اليتيمة المتبقية من عمري، وسنيني الباهتة أه أه الآن عادت إليَّ حواسي التي شُلت من الألم طلبًا لجرعة من تلك المادة البيضاء.

الآن وقد ارتخت أعصابي، وخرجت جيوش النمل من أذرعي والديدان الصغيرة من عيني الآن أتذكر نعم أتذكر كيف بدأ كل هذا؟! وكيف انتهيت بقتلي



للمهرب ونحرت عنقه دون أن يُطرف لي جفن؟!

عاد الماسخ بذاكرته لثلاث أيام قد مضت إلى لحظة البداية.

❀❀❀

ها أنا أتجول في منتصف الليل على غير هُدى وحيدًا كما اعتدت في شوارع القاهرة في العام الثاني والعشرين بعد المائة الأولى من الألفية الثانية، في حين يقبع الجميع من آذان المغرب في بيوتهم على غير طبيعة القاهرة الساهرة بعد ما حدث في الأعوام السابقة تدريجيًا من بعد الغروب وإلى وقت العشاء تقل المارة والسائرين حتى يختفوا جميعًا، فلا يوجد متجول و تنقطع كل رجل دابة على الأرض سوى من المدمنين أمثالي واللصوص في شوارع القاهرة..

فالليل لنا نحن فقط وجرذان الشارع وكلابه الضالة، يومان قد مضوا ولم آخذ جرعتي اليومية من المادة البيضاء بعد أن اختفى التاجر الخاص بي عقِب إلقاء القبض عليه من قوات العسس التي تتلذذ بكل من يقع في قبضتها حتى أصبحت كالضباع تنهش أي فريسة تقترب منها في غابة من الحُمر الوحشية..أخبرني مُدمن آخر عنوان للزعيم كبير التجار في أقاصي الصعيد الذي يشتري منه كل التجار هنا وهناك.

ها أنا الآن أقف على الحدود الفاصلة بيننا وبين الدولة المجاورة حدود مدينة المنيا الفاصلة بين الشمال والجنوب على حدود دولة الصعيد، و دويلة القاهرة، ومن خلال الأنفاق السرية التي أرشدني إليها مُهرب بشري اجتزت الحدود لأُكمل رحلتي إلى مدينة قنا التابعة لدولة الصعيد التي أعلنت استقلالها منذ مائة عام مضت.

رافقني مُهرب البشر إلى أول طريق للعمار لأنتقل من عربة إلى أخرى، ومن وسيلة إلى أخرى ساعات طويلة مرت، وأنا بين حيرة وخوف وقلق انتقل من مدينة، أو قرية إلى أخرى إلى أن وصلت إلى حدود مدينة قنا، وهنا قمت بعمل اتصال برقم زعيم المهربين بمساعدة أحد المحليين للتواصل معه الذي أرسل إليَّ أحد أتباعه ليُقلني من الخارج إلى الداخل كي لا يُصيبني مكروه، أو أُقتل بالخطأ فالحدود هنا مُشتعلة لم تمض ساعة إلا وقد كان معي ذلك المُهرب الصغير المسئول عن التهريب إلى تجار دولة القاهرة الشمالية، رافقني بعربته الخاصة المضادة للرصاص عبر طرق غير ممهدة و مقفرة حتى وصلنا إلى منطقة حقول شاسعة مزروعة بنبات قصب السكر مئات الأفدنة من حقول قصب السكر يُحيط بها الكثير من الرجال الذين يرتدون الجلباب الصعيدي في خطوات منظمة، ودوريات أشبه بثكنة عسكرية وأفراد ينتمون لجيشٍ خاص..

يحملون مختلف الأسلحة وأبراج حراسة مُثبَّت بأعلاها رشاشات ضخمة مضادة للمدرعات والبشر، وطائرات الهيلكوبتر المنخفضة وأسفل الأبراج حاملات، وراجمات صواريخ، ومدافع ضخمة مضادة للطائرات المرتفعة، والدبابات، تسليح كافي بسحق جيوش كاملة من أعتى الجيوش إلى أصغرها، حتى جيوش النمل هناك رجل يجوب حاملًا جهاز رش مُبيدات تُرش لمنعها من الاقتراب أيضًا.

دقائق قليلة وأنا أسير مُنقطع الأنفاس بمروري من خلال هؤلاء الرجال وأُشاهد التسليح الكامل لتلك المنطقة حتى وصلنا إلى بيت في منتصف الحقول



يُحيط به ترسانة حربية كاملة أقوى وأضخم مما رأيت بالخارج، و أمامي يجلس كبير التجار وزعيمهم

فاتحته قائلًا: لقد أتيت لأشتري كيلو من....

وقبل أن أكمل كلماتي نهرني بغلظة.

-اخرس وقال بلهجته ذات الحروف المعطشة الصعيدية التي بالكاد فهمتها "لا تنطق باسمه واتبعني إلى داخل الدوار فمُحرم الحديث عن المادة أمام الرجال لكي لا تلتقط أجهزة التصنت حديثنا فـ بداخل الدوار أمان".

ثم نهض وقادني وأنا خلفه بدون اعتراض، أو إبداء أي صوت حتى، فالألم بداخل رأسي بدأ يتزايد، و مع تَصاعده بدأت أفكاري كسراب ينقشع وقطرات الجحيم تٌسيح عقلي حتى أصبحت في أشد الحاجة إلى جرعتي التي مضى يومان حتى الآن دون أن أخذها.

جلس كبير التجار وأنا معه وأمامه مائدة وضع عليها كيلو من المادة البيضاء ما إن رأيتها حتى انقضضت عليها ككلب مسعور فـ رفَصني بقدمه لـ أنقلب على ظهري ويخرج من جانبه طبنجة ويُشهرها في وجهي قائلًا:

– أين نقودك؟ أين ثمن البضاعة أيها الحقير أو تعتقد أنها بالمجان؟ أين المال؟!وإلا ستكون جنازتك.

قالها التاجر بحروف ثقيلة وبطيئة وأنا أنهض وأُخرج من جيبي ورقتان نقديتان كل منهما فئة خمسة آلاف جنيه مصري قائلًا:

-١٠ آلاف جنيه ثمن الكيلوجرام الواحد على ما أعتقد.؟

ليضحك التاجر ويقول بابتسامة لزجة:

- هذه العملة في دولتك قد تشتري لك بضع جرامات لكننا هنا لانتعامل بتلك العملة لقد ألغينا التعامل بها عملتنا هنا هي "الجروان الصعيدي" جروان واحد فقط منه يساوي سبعة عشر آلاف من عملتك العائمة قبل أن تغرق، إما أن تدفع بـ الجروان، أو الذهب لو تمتلكه، أو ترحل كما أتيت بدون مليجرام واحد.

توسلت له انكببت على قدمه أترجاه بأخذ جرعة الآن حتى أُكمل له ثمن الكيلو، فما معي لا يصلح ثمنًا له وأخبرته بأنني معي ذهبًا وفضة في منزلي وليُرسل معي أحد مُهربيه بالمادة، وسأدفع له هناك ما يريد، ساعة كاملة من التوسل والترجي حتى لان ووافق.

ثم أخرج محقنة من صندوق بجانبه بدافع الشفقة وأعطاني جرام واحد كي تهدأ جيوش النمل بجسدي وقطرات الجحيم المنهمرة بعقلي إلى أن أصل لـ منزلي مرة أخرى، ثم صرخ مناديًا على المُهرب المسئول عن القطاع الشمالي وبعد دقائق من الاتفاق والتوصيات دفع إليه بكيس يزن كيلو جرام واحد ثم وضعه الأخير في صندوق صغير، وهو يتجه نحوي ويصحبني إلى الخارج وقبل أن أخرج من الباب قال زعيم التجار الصعيدي:

- سـ يصحبك إلى منزلك ولن يتركك إلا بأموالي أو بروحك ثمنًا له ففكر جيدًا قبل أن تختار كيف تدفع المقابل.

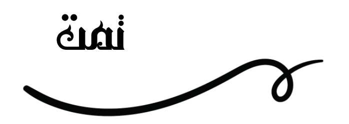
وما إن انتهى حتى صحبني المُهرب الصغير إلى الخارج ومن ثم إلى عربته، ومعه تابع له وهو يُحادثني طوال الطريق ويُسامرني ونظرات الترقب، والشر



بعيونه تلمع مع ضوء القمر المنعكس على سلاحه بجانبه مُتجهين إلى الحدود.

إلى أن وصلنا إلى الأنفاق فترك السيارة لـ تابعه وأتى هو معي، وما أن وصلت إلى مسكني داخل شقتي تركته في غرفة الجلوس وذهبت إلى الداخل وأنا أخبره بأنني سأجلب الذهب نزعت حذائي و بقدمين حافيتين التي أكلت الأملاح وسوء التغذية جلدها فتشققت، تسللت خلف المُهرب، وأخرجت مديتي ببطء ثم نحرت عنقه، وأنا أضحك بجنون، لم يُدرك ما حدث فلقد كانت المفاجأة سريعة، والذبح أسرع حتى انكب على وجهه ساقطًا تركته، ووضعت مديتي على الطاولة بجانب السرير وهي مازالت تقطر من دماء المُهرب.. ووضعت بجانبها كيلو المادة البيضاء التي يُطلق عليها "السكر"لـ تردد الجدران ضحكاتي الهستيرية...

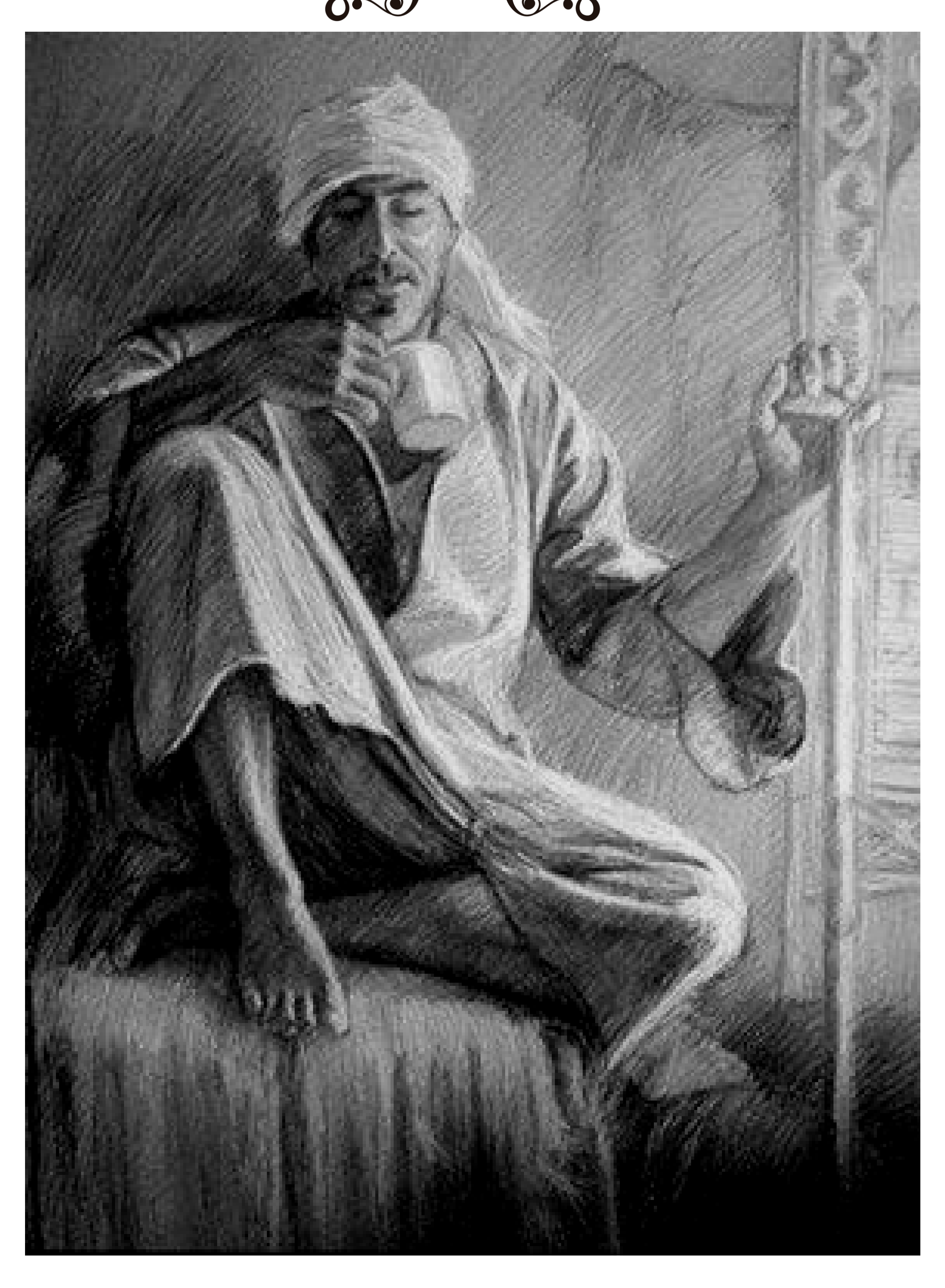
التي تعلو تدريجيًا مع ارتفاع صوت قطرات الجحيم برأسي مطالبة بجرعة أخرى من السكر.



الجالس يشرب شاي

انتهى الجميع من قص قصته ولم يبق سوى ذلك التمثال الآدمي هو الأخير نظر الجميع إليه، وهو يتحرك كأنه تمثال حجري يتحرك يتثاقل عنه التراب، والرمال، وقال في بطء ثقيل، وهو يحكي قصته:





الجالس يشرب شاي

آذان المغرب يتردد في أجواء السماء يُعلن انتهاء يوم عمل شاق و انصرام النهار في تلك المنطقة الزراعية شرق القرية الصغيرة النائية إحدى قرى صعيد مصر الداخلي..ظهر ذلك الشبح لخيال شاب نحيل قادم من منتصف الحقل اتضحت معالمه أكثر حينما خرج إلى الطريق تحت أعمدة الإنارة المتفرقة..كان شاب ذو بشرة حنطية داكنة تلك البشرة ما بين البيضاء والسمراء خرج إلى النور، وهو يعقُص جلبابه على خاصرته.

كان مُنهمك في سقي الأرض منذ أذان العصر حتى سمع أذان المغرب الآن، وفي شرود معتاد انتهى من ري الأرض، وخرج من الحقل لا ينتعل حذاء سوى الأوحال الطينية المتلاصقة حول قدميه من خوضه في الأرض المُسقاة حديثًا.. سار وهو شارد الذهن لم يفك حتى رباط جلبابه، أو ينتعل حذاء، سار وهو ينتعل الطين اللاصق حول قدميه وأرجله العارية النحيلة التي تشبه أوتاد خشبية.. بضع مئات من الأمتار شاردٍ يتذكر أعوام دراسته الطويلة، وشهادته الجامعية، وعمره الذي أفناه في نظام تعليم لا جدوى منه ثم أعوام حتى التخرج مريرة.

بحث في كل أنحاء الجمهورية عن عمل بشهادته فلم يجد أو أي عمل آخر يحفظ له عمره الذي أفناه، فلم يجد أعوام طويلة قضاها في فقرٍ مدقع، ونحسٍ مخيم مرافقٍ له في كل خطواته، وهو يرى كيف تُقسم الوظائف والأعمال على ذوي المال أنفسهم وأبنائهم وكيف أن شهادته أصبحت أقل قيمة من الورق المطبوعة عليه.!

فلم يجد بد من أن يعود إلى قريته الصغيرة في مجاهل الصعيد المنسية المحرومة

من كل شيء فقد رجع إلى سجنه ومعزله عن العالم بنفسه، ها هو الآن على أعتاب العقد الثالث من عمره، لم يجد أي عمل سوى أن يؤجر جسده، وبدنه في أعمال الأرض الأم التي تقبل كل ابن مهما طالت غربته عنها، عمل كأجير يوم بيوم.. جلس أمام الدار، وطلب كوب من الشاي، مرت أعوام طفولته أمام عينيه سريعًا، فبالأمس القريب كان طفلًا يلهو بالتراب أمام البيت، ومع قطط الجيران.

والآن هو شاب يحمل هم من شاب، يشاهد الآتي و الغادي، لقد فقد أمسه ويومه وغده، وهو جالس يشرب كوب الشاي سجين روتين يومه المكرر، سجنه الزمن وتيه عقله فيُصبح حين يُمسي ويُمسي حين يُصبح كعقاب "سيزيف" الإغريقي يحمل همًا، وصخرة إلى أعلى الجبل فيهوى، ويُعيد الكرّة مرة في مرة، وكلما يصل يهوى.

-كان الشاب الجالس يشرب شاي متمرد ولكن متمرد جالس ينوي دك الجبال وخوض البحار، ولايفعل، ويتلذذ بالشاي الساخن المصنوع على الراكية [١] امامه التي تجذب القطط لـ تتمسح في قدميه الطينية،فقد إيمانه في المستقبل، فقد عزيمته، وهمته ذاق مرارة الفقر والعُزلة، كان أجير في الصباح لدى أصحاب الأرض، ومستأجر في الليل لمسكنه وسط عائلته وبيت أبيه.

فجميعهم مُتزوج وأنجب أبناء، ويعمل ولديهم السكن الخاص بهم إلا هو لديه عاشقان كل ليلة يختليان معه الفقر والنحس لا يفترقان.

❀❀❀

جلس الشاب النحيل أمام الدار يشرب شاي كل يوم حتى مضى عام ثم عام

ومن بعدهم مائة عام مات الشاب و خلد خلفه عملًا مجيدًا، تَحاكى عنه كل أهل القرية، وفي كل البلدان ذاع صيته، وخلد عمله فكان عمله وريادته، فكان العاطل الأول اليائس بلا أمل، حتى أقاموا له نُصبًا يخلد ذكراه وأعماله.

جسد ذلك التمثال عمله الخالد في الأذهان وهو جالس أمام الدار يشرب الشاي، مرت أعوام وأعوام حتى أتم ألف عام، وأصبح تمثاله مقدسًا لدى طلبة العلم والشباب والعمال، ففي كل قهوة هناك تمثال له يتحلق حوله المُحتَذون به من الشباب يتذاكرون سيرته، وحين يتفرقون يذهب كل منهم إلى فيلته ذات الثلاث حدائق وجنان، يجلس كل منهم أمام تمثاله الخاص يشرب الشاي.

❀❀❀

* الراكيةهي صنع الشاي في حفرة بـ الخلاء أو في إناءفخاري صعيدي يختلف من بلد إلى أخرى، وهي النسخة الصعيدية من راكية القهوة البدوية التي تحفر لها ركا في رمال الصحراء، ويكون وقودها عشب جاف، أو عظام الشامي الخالية تستخدم كوقود، أو الفحم، والخشب، وله نكهة مميزة ورائحة زكية جدًا.

النهاية..

-هناك قصةأخرى
المجموعة لم تنته بعد..

بعد أن انتهى الجميع من قص ما لديه التفتوا إليّ جميعًا
وهم ينوون بي شرًا ولكن قبل أن يتحرك أحدهم

كان صوت أذان الفجر يتردد من القرية بعد أن عادت الكهرباء تسري في عروق القرية المتمثلة في أسلاك الكهرباء، و نبضت القرية بالحياة الكهربائية،ألتفت حولي ولا أجد أحدًا منهم سوى أكواب الشاي الفارغة، ومجلس أساطيرالماضي والحاضر" قد انفض إلا من عزة!.

قبلتني عزة قبلة فوق خدي، وقالت:

- الحقْ بي وكن من أتباعي وستنال كل ما تشتهي.

قالتها وهي تنسحب إلى داخل الزراعات مرة أخرى كما جاءت.



قائمة الشكر الخاصه للأصدقاء الأعزاء:

الذين منحوني وقتهم في القراءة والنقد والتوجيه:

الصديقة / سها صبرى غنيم.

الصديق / أ- عمر علي.

الصديقة / إيلارية منسى وليم.

الصديق / محمد زين العابدين محمد.

الصديقة / منى حسنى عبد الجواد.

الصديق / أحمد محمد ابوريه.

الصديقة / منال عبد الحميد.

الصديق / طه ابو النيل.

الصديقة / نهى محمود السيد "قراءة وتدقيق لغوي".

الصديقة / أسماء الصخرى الغرسى "تصميمات متعددة".

الصديقة / دعاء خليل السيد.

الصديقة / هند سعدالدين السيد.

الصديقة / دارين أحمد نصر.

الصديقة / رانيا عبد السميع عبد العليم.

الصديقة / شيماء محمود صادق.

الصديقة / ريم السيد غلاب.

الصديق / أحمد سعد الدين .

زفيزف الدم..
نبق الموتى
و"نحب كاو جامع الأرواح"

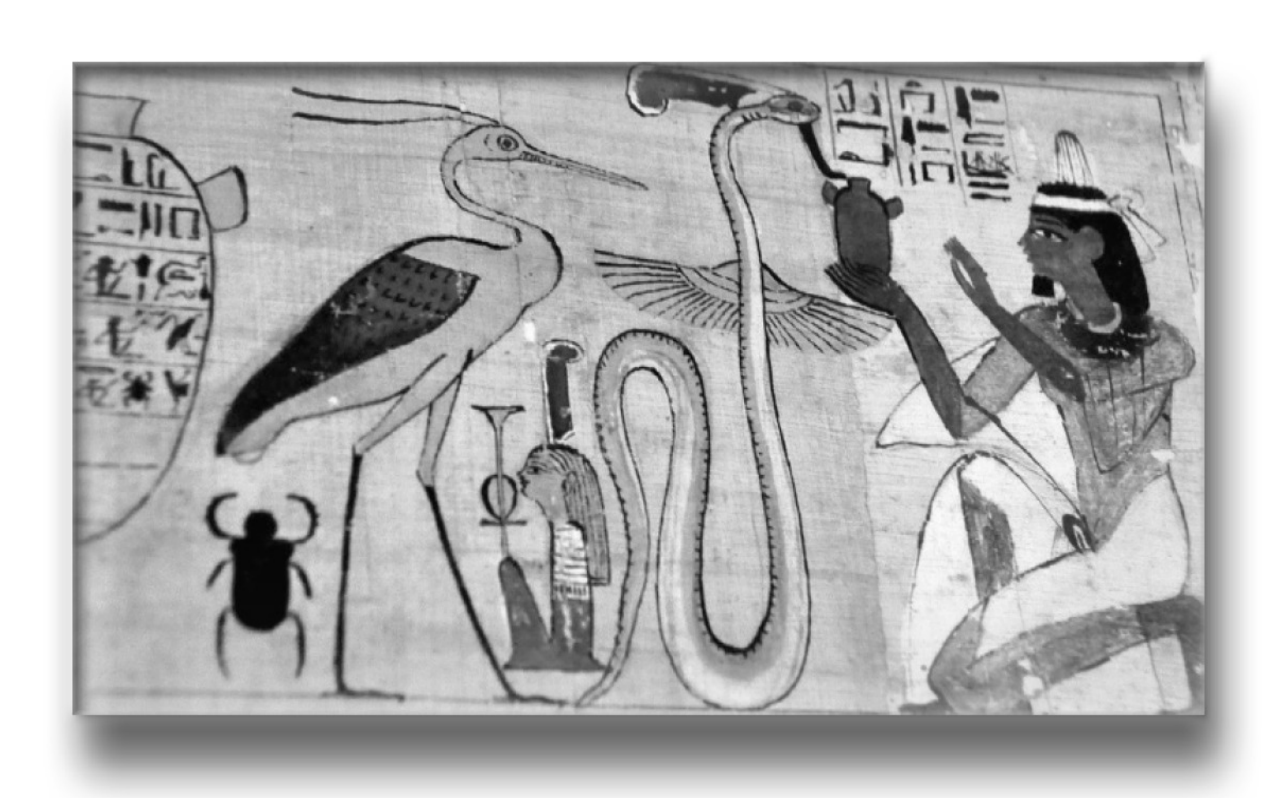
وقفت وحيدًا بقلب خائف، وعقلٍ حائر مما حدث وتلك الجلسة المرعبة، وقبل أن استكمل طريقي إلى بيتي

مازالت هناك قصة احتياطية أخرى في جُعبتي لن أقصها عليك إلا إذا كانت هناك قصة لم تنل إعجابكم بالكامل، قم بتمزيقها، وتجاهلها، وقراءة تلك القصة بدلًا منها.

هل هناك واحدة؟؟

إذًا هيا بنا نتمشى قليلًا إلى تلك الشجرة التي تقبع في آخر الطريق أمام منزلي، نعم شجرة السدر "النبق" تلك، سر معي إليها بينما أقص عليك قصة الثعبان جامع الأرواح.







زفيزف الدم.. نبق الموتى

و"نحب كاو جامع الأرواح"

عشرون عام مضت ومازال السؤال نفسه يؤرقني منذ أن كان عمري حينذاك عشرة أعوام، اليوم سوف أعرف إجابة ذلك السؤال اليوم إما أن يهدأ بالي إلى الأبد أو لا، ذلك السؤال المثير والمُؤرق ما سر شجرة "نبق الدم" والأساطير التي نُسجت حولها؟!.

ذرع "غريب" غرفته جيئةً وذهابًا في خطوات متوترة، وعقل حائر متسائل، و تتوارد إلى ذهنه ذكرياته عن بداية شغفه واهتمامه بتلك الشجرة التى أطلق عليها أهل قريته "زفيزف الدم"، وعلى فاكهتها "نبق الموتى"، وأول مرة طرح على نفسه، وأهله ذلك السؤال.

"غريب" الشاب المثقف المُتخرج من كلية العلوم ويعمل مندوب لشركات الأدوية، ذو بشرة خمرية، عيون سوداء،شعر بني، وصاحب قوام رياضى، من سكان محافظة سوهاج وتحديدًا مركز "البلينا" من قرية عرابة "ابيدوس" القريبة من المنطقة التي منها قديمًا بدأت الحضارة في أم الجعاب.

منذ عشرون عام مضت حينما كان غريب مازال يبلغ من العمر ١٠ أعوام، وفي قريتهم القريبة من مدافن، و مقابر الأسرات المصرية القديمة الأوائل، والأماكن المقدسة لديهم، نبتت شجرة سدر في مدافن أحفادهم المعاصرين، وتلك الشجرة تقع في بداية الطريق المؤدي إلى مقابر الأجداد القديمة، لم يعلم أحد من كبار أعمدة القرية، وهم أهل القرية التي تتجاوز أعمارهم ١٠٠ المائة

عـام متى ظهـرت تلـك الـشجرة؟! فقـد ولـدوا هـم وآبـاؤهم وأجـدادهم وهـي موجـودة، وقـال بعـضهم أن عمرهـا قـد يكـون مئات الأعـوام أو قـد يكـون آلاف الأعوام لا أحد يدري.

تلك الشجرة الغريبة التي تختلف عن باقي الأشجار، من حيث الضخامة، وثمارها التي توجد في عناقيد مجتمعه تثقل فروعها بلون الدم، على غرار باقي ثمار أشجار النبق التي تكون خضراء ثم صفراء و حين تستوي، وتنشف تكون بنية داكنة، أما هذه الشجرة ثمارها حمراء طوال العام.

وحين سأل غريب والدته عن تلك الشجرة قالت:

- لا تقرب تلك الشجرة، أو ثمارها فهي شجرة الأغبياء.

وحين سأل غريب والده عن تلك الشجر قال له:

- لا تقرب تلك الشجرة، وثمارها فهي شجرة الموتى لا الأحياء.

وحين سأل غريب جده قال له:

- لا تقرب تلك الشجرة فـ ثمارها ثمار الجان وأجساد القدماء.

وحين سأل غريب جدته قالت له:

- يا أعز الأبناء يابن الإبن لا تقربها فتكون هالك فهي شجرة يسقيها الدماء.

كان حديث عائلة غريب دائمًا مُحذرًا من تلك الشجرة والأكل من ثمارها،كما باقي العـائلات لأبنائهم حتى أصبح جيل بالكامل من الأطفال يرتعب فقط لمجرد المرور من جانبها في منتصف النهار، والـشمس ترسل أشعتها بالأمان،

والدفء في كل مكان، وكانت تحديات مراهقتهم لبعضهم بالجلوس تحتها نصف ساعة في الليل وحيدًا، ذلك الرهان الذي لم يكسبه أحد منهم أبدًا.

وقد اكتسبت تلك القرية سمعة في اختفاء أحد ساكنيها كل عام، وفي نفس يوم اختفائه يلاحظ الأهالي زيادة في حجم نبق الدم وفروعها، فكثرت الأقاويل، والشائعات حول ارتباط تلك الشجرة بموت، أو اختطاف المختفين من قبل الجان، الذي يسكنها، ويتغذى على ثمارها وخاصة أن موقعها في أطراف مقابرهم، وتحتها عشرات القبور المقببة التي تشبه الأضرحة، والتي لم يقترب منها أحد منذ أعوام، وهجرها أصحابها إلى قبور جديدة،أضفت على المكان مزيدًا من الرهبة والخوف.

ساعة مضت، و"غريب" يتذكر كل ما قيل ورافق تلك الشجرة من أساطير، وحكايات عن الجن ومساكنهم، والموتى و عن نبقها الأحمر المروي من دماء الموتى في جبانة القرية، وتذكر ذلك اليوم في مراهقته حينما كان يبلغ من العمر ١٨ الثامنة عشر،وهو خارج فى إحدى المرات، وقد توسطت الشمس كبد السماء ليجد بجوار شجرة زفيزف الدم، رجل عجوز قد يكون أحد أعمدة القرية التي نادرا ما يراهُم خارج مساكنهم، تشجع "غريب" ليقترب منه إذا كان هو يجلس بجوار الشجرة مطمئنًا فلا خوف عليه من الاقتراب.

اقترب "غريب" من الرجل وقد ألقى عليه السلام فلم يرد، وما إن اقترب ليرى غرابة هيئة الرجل، ذو الرائحة القاتمة التى تُشبه الملابس المخزنة لأعوام في مكان مغلق ما إن تخرجها فـ تكتم أنفاسك رائحتها، أو رائحة قبر لم يفتح منذ

عشرات الأعوام، حتى شك غريب أحيٌّ هو أم ميت خرج لتوه من أحد القبور؟! في توجس اقترب أكثر منه قائلًا:

- كيف حالك يا جدي ما الذي أتى بك إلى الجبانة في ذلك الوقت وحيدًا؟! هل من شيء استطيع القيام به من أجلك؟.

رد العجوز وهو يشير له بالجلوس بجانبه على فوهة مدخل وعتبة أحد القبور المقببة.

- "اقترب يا بنيّ لا تخف من شيء فأنت من القلة المختارة الذي سيفتح الحظ لك أبوابه على مصراعيها اليوم أنا جدك "غاشم".

جلس "غريب" بجانب الرجل في تعجب من هيئته، واسمه، وهو يقص عليه حكاية أغرب من أن يصدقها أحد فقد أخبره الرجل:

"أنه عراف عجوز يُدعى "غاشم" قد ورث عن آبائه وأجداده أسرار الحكمة والسحر، و أخبره عن قصة تلك الشجرة التي هي تخفي مدخل إلى سرداب أعظم الكنوز التي عرفها البشر في حياتهم، وأنه قد ارتحل من جنوب البلاد إلى هنا لكي يُقيم بجانبها إلى أن يأتي اليوم المنشود، ويرى العلامات التي ستفتح له الشجرة مدخل الكنز المسحور، وهو يوم يتكرر حدوثه كل مائة عام، ومن يحظى بالتعويذة الصحيحة، والمعرفة سيمتلك مدخل إلى نهر من لبن للشباب الدائم "

وما أن وصل الرجل إلى تلك النقطة حتى هم غريب بالانصراف عنه، وقد اعتقد أنه مخرف، أو مجذوب -وهو الذى أصبح قاب قوسين، أو أدنى من سكن وتعمير مقبرته الخاصة- يتحدث عن الشباب الدائم.!

وقبل أن يبتعد غريب صاح به الرجل صيحة جعلته يلتفت إليه بثبات يُشبه تمثال حجري لا يرمش له جفن، ورأى الرجل وهو ينهض ويطول جذعه الذي تحول إلى ما يُشبه جسم ثعبان حتى بلغ طوله إلى ١٨ ثمانية عشر مترًا ليلتقط، بضع حبات من نبقْ الموتى ويلتهمها ثم يعود كما كان وهو يبصق نواها، ويشير لـ "غريب" بأن يقترب مرة أخرى وهو يقول له:

- لقد أخبرتك أن الحظ ابتسم لك، فلا تكون فقري كما يقولون أنا بلا ولد، أو وريث وقد فوت في إحدى المرات المدخل، ولم أذهب إلى النهر لأستعيد شبابي وقد بقى على ظهور البدر الدامي مرة أخرى أقل من عشرة أعوام،سوف أُقيمُها هنا بدون علم أحد، وستأتي إليَّ كل يوم بالطعام وما أحتاجه، وسأخبرك من أسرار الماضي، وحكمته حتى إذا أتى الموعد ستكون معي وإن مت قبلها ستكمل أنت حمل الأسرار وستكون وريثي.

استمع "غريب" إلى العجوز "غاشم" في ذهول ودهشة، وهو يرى تأثير سحره وغرابته، وقد تيقن من حديثه، وأقسم له على ما يريد من سرية وإخفاء أمره حتى عن أبيه وأمه، مرت ثلاث أعوام أخرى و"غريب" يتردد على الرجل الساحر في الخفاء قبل الغروب، يحضر له أشياء غريبة أجزاء من حيوانات نافقة، أو دمائها، وهو يتأفف من ذلك، ولكن يصبر طمعًا في نيل الغنائم، وما إن تنصَرم الشمس حتى تنتابه مخاوفه وجذعه من الشجرة، وما عرف عنها فـ ينصرف مهرولًا، اختفى العجوز فجأة كما ظهر فجأة تاركًا خلفه كل أسراره، و أدواته، وكتبه، وحتى ملابسه التي لم يُبدلها يومًا، دفن غريب كل ما يخص العراف غاشم في القَبر المهجور الذي رآه جالسًا عليه أول مرة.

وقبل موعد القمر الدامي بعامين، عامين مضوا سريعًا على "غريب" كأنهم ساعتين، وهو يحفظ طقوس فتح المدخل، والتعاويذ الخاصة به عن ظهر قلب حتى تلك الليلة المنشودة.

نظر "غريب" في ساعته بعد أن تخلص من توتره وتذكر العشرين عامًا الماضية وهو ينتظر ذلك الليل، وما إن أشارت عقارب الساعة إلى الثانية بعد منتصف الليل، وخسف القمر بلون اأمر دامي في اليوم الأول من الشهر الخامس المصري القديم "طوبه" وتذكر المثل الشهير الذي يردده مزارعين قريته عن شهر طوبه الذي يقول "طوبة يخلي الصبية كركوبة "، وعن تقسيم أهل قريته للشهر ثلاث أقسام كل عشرة أيام باسم مختلف "طُوب، طبطب، و طباطِب" فأكثر من ملابسه احتياطيًا من شدة البرد واعتمر كوفية وغطاء للرأس لكي يواجه برودة منتصف ليل شهر "طوبه" متجهًا إلى تلك الشجرة لكي يجد الكنز الذي سيُغير حياته، ومصيره في طرفة عين من أدنى مستويات المعيشة إلى أعلى مستوى يرغب به، مال، وصحة، وجاه وفير، ذلك الكنز الذي يحلم به جميع المصريين ولم يجدوه.

وفي الطريق إلى المقابر وجبانة القرية وهو خائف يقدم ساق، ويؤخر أخرى من الريبة والتوجس، صادف غريب قط أسود لم يكد يراه حتى قفز فزعًا من شدة سواده ولونه المنفر، لولا نور القمر الدامي الذي أنار الطريق، قط أسود داكن لا توجد به شعره بلون آخر، باستثناء بعض الشعيرات الحمراء بين عينيه، والتي لم يُدرك غريب أهي بيضاء وصبغها ضوء القمر بـ لونه؟!أم هي بالفعل حمراء تشبه رمز مفتاح الحياة الذي ينتشر على جدران معبد سيتي القريب منه؟!

بينما توقف "غريب" في توجس من منظر ذلك القط الذي راح يموء مواء غريب يشبه بكاء طفل رضيع ومن بين المُواء الذى يشبه البكاء كان هناك كلمة تحذير تشبه منطوق وصوت لااااااااااااااااا التي كانت الأقرب إلى سمع "غريب" فازدادت رهبته وخوفه، ولكن أكمل طريقه سعيًا وراء حلم الشباب، والكنز الدائم.

وما أن وصل إلى شجرة "زفيزف الدم" حتى تراءت له عناقيد "نبق الموتى" كأنها قلوب دامية متشابكة حول فروع تلك الشجرة مما جعل قلبه ينبض بعنف و تسارع في وتيرة خوف، وهلع على وشك أن تصيبه بنوبة أو أزمة قلبية من الخوف، صعد "غريب" على الشجرة وجنى بعض ثمارها، ولم يسلم من لسعات وخدوش أشواكها، حتى نزل عنها وكأنه قد خرج توه من قتال شوارع، مليء بـ الخدوش، والجروح التي زينت وجهه و الأجزاء العارية من جسده، و نسلَت خيوط ملابسه الصوفية.

وما أن هدأ قليلًا حتى شرع في رسم نجمة سُباعية على الأرض، ونقش بعض الحروف الهيروغليفية التي علمها له العراف العجوز، وحفظها في طقوس، و تعاويذ لفتح طريق الكنز، وتحضير الرصد الخاص به، رسم فوق رؤوس النجمة ما يُشبه موجة البحر، ضفيرة من الحبال، صقر له قرنان ولحية، قدم، وعلامة الكا المصريه التي تشبه ذراعين مرفوعين متوازيين، وثلاث نقاط مع خطوط صغيره متوازية؛ ووضع بجانب كل علامة ثمرة من "نبق الموتى الحمراء"، التي خُيل إليه فتراها عيونه كـ قلوب دامية بشرية صغيرة، وقف غريب في منتصف الدائرة، وجرح كفه ليريق دمائه على الرموز، والنجمة، وهو يدور حول نفسه قبل أن يتوقف فجأة من الخوف.

فأمامه يرى ثعبان عند جذع الشجرة بجانب عقرب أو قد تكون عقربة متجاوران كأنهما صديقان أو عاشقان يتبادلان القبل فردد في خوف ما اعتاد أن يُقال في قريته حين يشاهدون أحد الزواحف المميتة بالقرب منهم

- "لم أؤذيك فلا تؤذيني ارحل من حيث أتيت بسلام ولك مني الأمان."

"لا تؤذيني ولا أؤذيك روح مطرح ما جيت "

بعد أن ردد "غريب" تلك العبارة، ولم يتحرك الثعبان من مكانه، فتجاهله بعد أن روَّعه منظره وهيئته، ثم أخذ يخلع ملابسه قطعة تلو الأخرى، ويُلقيها خارج الدائرة لـ تحترق وتشتعل ثم تتفحم فور وقوعها أرضًا وملامسة تراب المقاب،. شعر غريب بلسعات البرد تخترقه، وكلما خلع قطعة تناول إحدى الثمرات الملوثة بالدماء، والتراب رغم تلوثها إلا أنه يجد لها حلاوة، ولذة لم يذق مثلها. استمر غريب يتناول السبع ثمرات، ويخلع ملابسه قطعة، وثمره تلو الأخرى، ولم يلحظ تلون أطرافه وجسده تدريجيًا باللون الأحمر كلون الثمار، وهو مستمر في طقوسه، والدوران حول نفسه في رقصة شعائرية قديمة وهو يقوم بإلقاء التعويذة الذي أورثها له العراف العجوز قائلًا:

"بسلطة قربان الدم وسم "نحب كاو" المنطُور، ونبق الموت حولايا داير مايدور، يا تعبان الجمع هات معاك لبن النور ".

ردد "غريب" تعويذته وما أن انتهى منها مع تناول آخر ثمار النبق حتى صرخ حين رأى يديه حمراء كالدم، و تلون جسده الذي أخذ يزداد حرارة، وسخونة تدريجيًا عقب انتهائه من تعويذته.

وتحت جذع الشجرة انتفض الثعبان مُثيرًا حوله دخان ضبابي أزرق وتراب الأرض، فتوقف "غريب" عن صراخه في رعب، وهو يرى الثعبان يتضخم حتى وصل إلى حجم ثور ضخم، وبرزت له أجنحة، وقدمين، ولحية، وانقسمت رأسه إلى رأسين تشبه علامة الكا التي رسمها، يرتدي كل منهما تاج الآتف المصري القديم الذي يشبه التاج الذى يرتديه "أوزير" بجانبه ريشتين من ريش الأوز وأسفله قرنين كبش.

وما إن تجسد الثعبان بكامل هيئته حتى تحدث إلى غريب قائلًا:

◈ "أنا نحب كاو جامع الأرواح وحامي جي الموتى والملوك الدائم المتفاني، حارس بوابات العالم الآخر من الفاني الذي استدعاني لجهل وغباء مُتناهي و أقلق راحتي ومنامي؟!"

رد غريب:

- أدعى "غريب" ومعي طلاسم العراف العجوز "غاشم" أنا وريثه والمستحق الوحيد للكنز وشراب لبن النور المانح للطاقة والشباب.

صدرت عن الثعبان "نحب كاو" ضحكات تشبه ضحكات البشر حين تصدر عن ثعبان متكلم وهو يقول:

◈"أنا نحب كاو ابن جب إله الأرض و "رينينوتت" ربة الحصاد والخير الحية الأولى المقدسة حارسة الخبز، والماء، والحياة، وزوج "سلكت" العقربة ربة الشفاء، وحامية الأنقياء، أنا أحد القضاة الإثنين وأربعون في قاعة الحقيقة المزدوجة، مُبتلع السبع أفاعي، أنا من يُحول السُم إلى لبن النور إلى رحيق الشفاء، أنا الذي يُقدم الطعام إلى الموتى، حارس الأرواح وجامعها

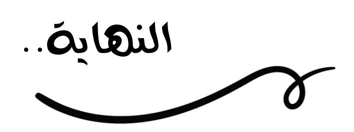
وليس لخادم للأحياء، لقد خدعك الشيطان "عابب" المُتجسد في هيئة العجوز غاشم خدعك بفساده وشره الأزلي، وطمعك، وجهلك البشري، لقد تلوت تعويذة تدنيس الموتى وبحكم الحامي، والقاضي، وزوج الحامية، وابن الحامية فمصيرك معي الموت وسلب طاقتك، بتدنيسك للموتى، واستخدام تعاويذ "عابب" للشر، والفوضى، والدمار لتصبح طعامًا لشجرة الدماء ألم يحذرونك من الغباء؟! ألم يقولون لك لا تقترب من فاكهتها فهي للموتى وليس للأحياء؟! ألم تفكر بعقل رشيد، وتجتهد في سعيك؟! فتدرك أنه لا يوجد كنوز تنتظر الكسلة الأغبياء، بل تنتظر المتواكلون الأشقياء "

انتهى نحب كاو من كلماته وهو يقترب برأسيه من أمام وخلف جسم "غريب" يمتص منه كل طاقة تجري في جسده، وعروقه، وحياته معها، ثم انتزع قلبه من جسده اليابس الذي يشبه المومياء، فتحول إلى عنقود أحمر دامي من "نبق الموتى" فرفعه الثعبان مكان ما انتزع غريب سابقًا وهو يقول:

"الغبي الثامن والعشرين بعد المائة ألف الثلاثون".

انقضت الليلة وفي صباح اليوم التالي اختفى "غريب" وكل أثر له، ولم يعثر أهله له على مكان أو يعرفوا له طريق ولكن لاحظ أهل القرية ازدياد حجم شجرة زفيزف الدم وظهور فرع جديد في اتجاه بيت غريب المُختفي، وبعد عشرة أعوام أخرى ظهر "غاشم" جالس على عتبة المقبرة تحت شجرة زفيزف الدم ينتظر شخص آخر من القلة المختارة.

النهاية..



الفهرس

إهداء شخصى.. ٣
إهداء أدبي ٤
مقدمة ٦
رجيف الردمة ١٧
سِرداب الوهم ٣٠
أشباح تل سلام ٣٨
(مبعوث ست).. ٤٩
نحلة شاردة.. ٦٥
لغز مقبرة الجبل ٧٠
نبوءة جيش حورس.. ٨٦
بيت العمدة.. ٩٧
تاجر الزئبق ١١٢
روح قديمة ١٢٣
خنسو محب والشبح ١٢٣
الماسخ..١٣٤
الجالس يشرب شاي ١٤٣
قائمة الشكر الخاصه للأصدقاء الأعزاء..١٤٧
زفيزف الدم.. نبق الموتى و "نحب كاو جامع الأرواح" ١٥٠